اللؤلؤ والمرجان

في

بيان الرؤى المنامية الواردة في القرآن

دِرَاسَةٌ قُرْآنِيَّةٌ مُخْتَصَرَةٌ تَجْمَعُ الرُّؤَى الوَارِدَةَ فِي كِتَابِ اللهِ تَفْسِيرًا وَتَأْوِيلًا، مَعَ بَيَانِ رُمُوزِهَا وَقَوَاعِدِ التَّعْبِيرِ المُسْتَنْبَطَةِ مِنْهَا، وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ فَوَائِدَ وَمَسَائِلَ ذَاتِ صِلَةٍ.

تأليف

أبي المنذر عمار بن عبد الجليل بن هزاع الوريمي الحوباني

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

اللؤلؤ والمرجان

في بيان

الرؤى المنامية الواردة في القرآن

دراسة قرآنية مختصرة تجمع الرؤى الواردة في كتاب الله تفسيراً وتأويلاً، مع بيان رموزها وقواعد التعبير المستنبطة منها، وما تضمنته من فوائد ومسائل ذات صلة

تأليف
أبي المنذر عمار بن عبد الجليل الحوباني
غفر الله له ولوالديه

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى:

١٤٤٧ هـ ٢٠٢٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

الحمد لله الذي أحكم آيات كتابه، وفصّل فيه من دلائل الهداية ما تزكو به النفوس وتطمئن به القلوب، وجعل الرؤيا الصالحة من مبشرات الإيمان، وأثار النبوة، وعلامات العناية الإلهية.

والصلاة والسلام على سيد المرسلين، الذي كانت رؤياه حقًّا وصدقًا،

وجاءت مثل فلق الصبح وضوحًا وبيانًا، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن علم الرؤيا والتعبير من العلوم التي دلّ على حقيقتها الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وتلقّاه الأئمة بالقبول، واعتبروه بابًا من أبواب العلم الشرعي لا يُدرك إلا بضوابطه وأصوله.

غير أنّ هذا العلم الشريف قد تعرض في زماننا إلى تشويه كبير؛ فاختلط فيه الحق بالباطل، وزاحمته الدعاوى الكاذبة، والخرافات الموروثة، والتأويلات الفاسدة، حتى صار كثير من الناس يتناولونه بغير علم ولا فقه ولا هدى.

ومن خلال النظر المتأمل في الرؤى الواردة في القرآن الكريم، وما اشتملت عليه من الرموز، والمناهج، والسنن الربانية، والقواعد العلمية، تبيّن أن أصل هذا العلم في القرآن، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد أكمل بنور سنته معالمه، ثم جاءت مدرسة يوسف الصدّيق -عَلَيْهِ السَّلَامُ- نموذجًا عمليًا للتأويل الصحيح، المبني على العلم والفراسة والقياس الشرعي.

وبناءً على ذلك، جاء هذا الكتاب محاولةً علمية لجمع هذا الباب من أصله الأقوم، وتأسيس منهجٍ راسخ لطالب العلم والمعبِّر والرائي، منضبطٍ بالدليل، بعيدٍ عن التكلف والادعاء.

قمتُ بحمد الله وباختصار بتحرير حقيقة الرؤيا ومنزلتها، وبيان الفرق

بين أنواعها، وما يختص به الأنبياء وما يشترك فيه الناس.

ومع أن مباحث هذا الفنّ قابلةٌ للتوسع الكبير، والبحث المطوّل، والاستقصاء الواسع لأقوال أهل العلم من المفسرين، وشراح الحديث، ولغويّي العرب وبلغائهم؛ إلا أنني آثرتُ في هذا الكتاب منهجَ الاختصار والانتقاء، خشية الإطالة التي تُثقل على القارئ، ورغبةً في تقريب هذا العلم لمن همّتهم دون المطولات، وهم كثير في هذا العصر والله المستعان.

ولذلك لم أسرد الأدلة على وجه الاستيعاب، ولا نقلت أقوال العلماء بتمامها مكتفيًا بالاطلاع عليها ونقل معناها باختصار، ولا كذلك توسعت في الخلافات العلمية؛ بل اكتفيت بعرض أصول المسائل وقواعد الفنّ، وتحرير ما تدل عليه الآيات، وجمع الفوائد دون تعليقٍ مطوّل عليها، ليكون الكتاب دليلًا مختصرًا لطالب الفهم، ومفتاحًا لمن أراد التوسع في المطولات.

ورغم هذا الاقتصاد في العبارة، فإن مادة الكتاب قائمة على تحقيقٍ ونظرٍ ومقابلةٍ وتأصيل، بحيث يحصّل القارئ زبدة العلم وقواعده، دون الدخول في الجزئيات المطوّلة التي تحتاج إلى سفرٍ مستقل (١).

---

(١) وقد أفردتُ للرؤى المذكورة في سورة يوسف - رؤيا يوسف، والسجينين، وملك مصر - كتابًا مستقلًا توسعتُ فيه، وجمعتُ فيه ما لا يسعه هذا المختصر، وهو الموسوم بـ: «ٱلرَّوْضُ الأَنُفُ فِي فَوَائِدِ ٱلرُّؤَى وَٱلتَّأْوِيلِ مِن سُورَةِ يُوسُفَ» وهي رسالة مطبوعة صدرت عن دار الإمام الشافعي، تضمّنتُ فيها عشرات الفوائد، والرموز، فهي مكملة لهذا الكتاب، ومتمّمة لمباحثه لمن أراد الزيادة والتوسع.

وقد اخترت له عنوانًا يوافق مضمونه فأسميته: «**اللؤلؤ والمرجان في بيان الرؤى المنامية الواردة في القرآن**» لِما تضمنته هذه الصفحات من نفائس العلم، ودقائق الفوائد، وحقائق التعبير، مما يشبه جواهر البحر في صفائها، ولآلئه في بهائها، ومرجانه في انتظامه وحسنه؛ ولأنّ الرؤى القرآنية -بأنوارها وبيانها وإشاراتها وهداياتها- هي في حقيقتها لآلئُ ربانية أشرق الله بها القلوب، وهذّب بها النفوس، وربط بها أهل الإيمان بالوحي والنبوة.

فجاء هذا العنوان معبّرًا عن روح الكتاب، موافقًا لرسالته، ودالًّا على المقصود منه: جمع درر الرؤى القرآنية، ونظمها في عقدٍ واحدٍ يسهل تناوله، ويحسن عرضه، وتظهر به أسرار هذا الفنّ الجليل.

ومما يجدر التنبيه عليه أنّه -بحسب ما وقفتُ عليه- لا أعرف أحدًا أفردَ الرؤى المذكورة في القرآن الكريم في مؤلَّفٍ مستقل يجمعها كلها، ويستخرج رموزها وقواعدها، ويضمّها في دراسة واحدة متكاملة؛ إذ إنّ ما كُتِبَ غالبُه متفرقٌ في كتب التفسير والحديث، أو مقصورٌ على رؤيا يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وحدها.

ولأجل هذا الفراغ رأيتُ أن أقدم هذا العمل، جامعًا فيه الرؤى القرآنية كلها تحت منهج واحد، على قدر الوسع والطاقة، راجيًا من الله القبول والتوفيق.

اللهم يا ربّ السماوات السبع وما أظللن، وربّ الأرضين السبع وما أقللن، ربّ العرش العظيم، فاطرَ السماوات والأرض، علّامَ الغيوب،

نسألك باسمك الأعظم الذي إذا دُعيتَ به أجبت، وإذا سُئلتَ به أعطيت، أن تجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم، مباركًا فيه، نافعًا لعبادك، هاديًا لمن قرأه، مذكّرًا لمن غفل، ومثبّتًا لمن اهتدى.

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك، وبارك لنا في العلم والعمل، واجعل ما كتبناه حجةً لنا لا علينا، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وكتبه أبو المنذر/

عمار بن عبد الجليل بن هزاع بن غالب الوريفي الحوباني

وكان بداية تأليف هذا الكتاب في شهر رمضان لعام ١٤٤٣ من هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في مكة المكرمة من جوار بيت الله الحرام ، ثم بحمد الله وفضله وعونه تمت المراجعة النهائية له في يومنا هذا لعام ١٤٤٧ من هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دار الحديث السلفية بشحوح-سيئون- محافظة حضرموت-.

الباب الأول: حقيقة الرؤيا ومنزلتها وأنواعها ومنزلتها في الإسلام

المبحث الأول: تعريف الرؤيا والحُلْم:

تعريف الرؤيا والحُلْم لغة:

ما يراه الإنسان في منامه من خير وشر، وجمع رؤيا: رُؤى، وجمع حُلْم: أحلام.

قال ابن منظور في «لسان العرب» (١٤/ ٢٩٧):

والرُّؤْيا: مَا رأَيْته فِي منامِك...: وَهِيَ الرُّؤَى، ورأَيتُ عَنْكَ رُؤىً حَسَنَةً: حَلَمتها. اهـ

وقال الرازي في «مختار الصحاح» (٨٠) مادة حلم:

الْحُلُمُ -بِضَمِّ اللَّامِ وَسُكُونِهَا- مَا يَرَاهُ النَّائِمُ، وَقَدْ حَلَمَ يَحْلُمُ بِالضَّمِّ حُلْمًا وَحُلُمًا، وَاحْتَلَمَ أَيْضًا.

وَحَلَمَ بِكَذَا وَحَلَمَ كَذَا بِمَعْنًى أَيْ رَآهُ فِي النَّوْمِ. اهـ

تعريف الرؤيا اصطلاحا:

قال الراغب في «المفردات» (٢٠٩):

الرؤيا ما يرى في المنام. اهـ

وقال الرازي في «مختار الصحاح» (٢٧٤):

الرُّؤْيَا: هِيَ الْأَمْثَالُ الَّتِي يَضْرِبُهَا مَلَكُ الرُّؤْيَا يُكْنَى بِهَا عَنْ أَعْيَانِ الْأُمُورِ. اهـ

المبحث الثاني: الفرق بين الرؤيا والحلم:

قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «لسان العرب» (١٢/ ١٤٥):

وَالرُّؤْيَا والحُلْمُ عِبَارَةٌ عَمَّا يَرَاهُ النَّائِمُ فِي نَوْمِهِ مِنَ الأَشياء، وَلَكِنْ غَلَبت الرُّؤْيَا عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّيْءِ الْحَسَنِ، وَغَلَبَ الحُلْمُ عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْقَبِيحِ. اهـ

يتبين لنا من هذا أنه لا فرق بين الرؤيا والحلم، فقد يطلق على الحلم رؤيا والعكس، ولكن الغالب أن الرؤيا يطلق عليها رؤيا مبشرة، والحلم يطلق على الرؤيا السيئة، جمعا بين الأحاديث التي جاء تسمية الرؤيا حلما، والحلم رؤيا، كحديث أبي قتادة بن ربعي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: سمعت رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- يقول:

«الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ»(١).

وحديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

«مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ»(٢).

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٥٧٤٧)، ومسلم، برقم: (٢٢٦١).

(٢) رواه البخاري، برقم: (٧٠٤٢).

ففي حديث ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أطلق على الحلم أنه رؤيا، والمعنى من ادعى كاذبا أنه رأى رؤيا طيبة، وفي حديث أبي قتادة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أطلق النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- على الحلم أنه من الشيطان، وأن الرؤيا من الله، مما قد يُفهم المغايرة، ولكنه محمول على ما تقدم، وأنه على الغالب أن الرؤيا السيئة والغير مرضية والمحزنة المخوفة يقال لها حلم، إشارة -والله أعلم- أنه شيء عابر وذاهب غير محقق الوقوع، فهو على غير الحقيقة، كما لو أن إنسانا يحلم بأمور في مخيلته ففي الواقع ليست بشيء، فكذا الحلم الذي من الشيطان لا خوف منه، ولا عبرة به في التعبير، بخلاف ما كان من الله، فإن لها تعبيرا وواقعا حقيقيا.

ومما يدل على إطلاق الحلم على الرؤيا ما جاء عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قال:

«وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ»(١).

فأطلق على الجميع رؤيا.

ومن ذلك ما جاء عن أُمِّ الْفَضْلِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتُ كَأَنَّ فِي بَيْتِي عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ، قَالَ:

«خَيْرًا رَأَيْتِ، حلمت غُلَامًا فَتُرْضِعِيهِ».

فَوَلَدَتْ حُسَيْنًا، أَوْ حَسَنًا، فَأَرْضَعَتْهُ بِلَبَنِ قُثَمٍ.

---

(١) رواه البخاري (٧٠١٧)، ومسلم (٢٢٦٣).

قَالَتْ: فَجِئْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ، فَبَالَ فَضَرَبْتُ كَتِفَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-:

«أَوْجَعْتِ ابْنِي رَحِمَكِ اللهُ»(١).

فدل على إطلاق الحلم على الرؤيا الصالحة.

المبحث الثالث: الفرق بين الرؤيا والرؤية:

الفرق أن الرؤية بالتاء المربوطة ما يراه الإنسان في يقظته ولا عكس، بخلاف الرؤيا فإنها ما يراه في منامه على الغالب؛ لأنه قد جاء وصف الرؤيا لما هو في اليقظة كما في قول الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] الآية.

فكانت هذه الرؤيا يقظة ليلة الإسراء والمعراج به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-.

كما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيَهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٢).

قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ في «لسان العرب» (١٤/ ٢٩٧):

قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: وَقَدْ جَاءَ الرُّؤْيا فِي اليَقَظَة؛ قَالَ الرَّاعِي:

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ٣٣٩)، وهو حديث صحيح، وقد خرجته في كتابي «الجامع».

(٢) رواه البخاري، برقم: (٣٨٨٨).

فكبّر للرؤيا وهشّ فؤاده وبشّر نفسًا كان قبلُ يلومُها

وَعَلَيْهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾؛ قَالَ وَعَلَيْهِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ: ورُؤْياكَ أَحْلى، فِي العُيون، مِنَ الغَمْضِ. اهـ

المبحث الرابع: أنواع الرؤيا في ضوء السنة النبوية

الرؤيا تنقسم إلى أقسام، ولكل قسم من الرؤى علامات وأمارات يتضح بها المقصود، ويميز بها ما كان حقًا صالحًا في التعبير، وما ليس كذلك، وهي ثلاثة أقسام:

القسم الأول: رؤيا من الله.

القسم الثاني: رؤيا من الشيطان.

القسم الثالث: رؤيا من حديث النفس.

فقد جاء عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

«إِنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: مِنْهَا أَهَاوِيلُ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ لِيَحْزُنَ بِهَا ابْنَ آدَمَ، وَمِنْهَا مَا يَهُمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقَظَتِهِ فَيَرَاهُ فِي مَنَامِهِ، وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»(١).

وقد سبق نظيره، من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

فهذا يفيد بأن ما يرى في المنام لا يخرج عن هذه الثلاثة الأقسام، وأن ما يُذكر من أنها تنقسم إلى أقسام بحسب الطبائع والأمزجة فهذا غير وارد في

(١) رواه ابن ماجه، برقم: (٣٩٠٧)، وهو حديث صحيح لغيره.

أدلة الشرع.

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المسالك في شرح الموطأ» (٧/ ٥٠٤):

وأما تقسيم الرؤيا على ثلاثة أقسام فهي قسمة صحيحة مستوفية المعاني، وهي عند الفلاسفة على أربعة أقسام على حسب الطبائع الأربع، وقد بينا في كل كتاب، ونادينا على كل باب، وصرخنا على الأنقاب أنه لا تأثير للأخلاط ولا فعل، فلا وجه للتكرار في كل موضع. اهـ

قلت: والخلاصة: أن الكلام حول مسألة الأخلاط كثير، وقد توسعوا في ذلك، وخلاصة القول أنها عبارة عن أقسام تندرج تحت القسم الفاسد الذي لا تفسير له، وهو الذي يكون من الشيطان أو من حديث النفس وغيره.

قال الشهاب العابر في «البدر المنير» (١٣١):

والرؤيا على قسمين: صحيح، وفاسد.

فالصحيح: ما كان من اللوح المحفوظ، وهو الذي تترتب عليه الأحكام.

القسم الثاني: الفاسد: الذي لا حكم له. وهو خمسة أقسام:

الأول: حديث النفس: وهو أن يحدث الإنسان نفسه في اليقظة شيئا فيراه في المنام. وكذلك العادة.

قال المصنف: إنما ابتدأت بذكر الفاسد لقلته، فإذا عرف علم أن ما سواه هو الصحيح، وقد ذكر جماعة أن هذه أفسد الأقسام وزادوا عليها:

السحرة، وبعث الشياطين، ونحو ذلك، وليس بصحيح، والذي ذكرته غير مختلف فيه، وفي معرفته كفاية...إلخ ذكره للخمسة التي من القسم الفاسد.

المبحث الخامس: مكانة الرؤيا الصادقة في الإسلام

إنّ علم الرؤى علمٌ لطيفٌ عجيب، يبعث في النفس لذّة التأمل ومتعة البحث، وقد وردت في فضله نصوصٌ كثيرة، ويكفيه شرفًا أن الله تعالى ذكره في كتابه العزيز، وجعل في سورة يوسف أعظم الدلائل والعبر التي تُبرز مكانة الرؤيا وما تحمله من بشاراتٍ جليلةٍ وتوجيهاتٍ ربانية.

وفي السنة النبوية جاءت أحاديث صحيحة متواترة تؤكد علوَّ شأن الرؤيا، وتبيّن ما كان لها من أثرٍ كبيرٍ في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، إذ كان يعتني بها ويُبشِّر أصحابه بما يرونه من رؤى صالحة، فازدادت بذلك مكانتها في قلوب الصحابة والتابعين ومن بعدهم، حتى غدت من العلوم التي عُني بها أهل الإسلام جيلاً بعد جيل.

وقد أشار العلماء إلى أن علم تعبير الرؤى من العلوم الشرعية التي نشأت في الإسلام بعد تدوين العلوم، مع أنه معروف في الأمم السابقة أيضًا، لأن الرؤيا جزءٌ من فطرة الإنسان، لا ينفك عنها البشر في أي زمان، ولا غنى لهم عن تأويلها وفهم دلالاتها.

وقد بدأت بها النبوة في حقّ سيد المرسلين كما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا

الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ»(١)

وفي هذا دلالة على شرف الرؤيا الصالحة، وأنها كانت مبدأ وحي النبوة، وفيها تأنيسٌ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قبل نزول جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

ومما يدل على فضيلة الرؤيا أن الصحابة كانوا شغوفين بها، وهذا مما يدل على أهميتها في زمن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-.

فقد قص الصحابة رؤاهم على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وتفرغ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لسماعها والإنصات لها، والتعبير لمن رآها.

فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: إِنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، فَيَقُصُّونَهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مَا شَاءَ اللهُ، وَأَنَا غُلَامٌ حَدِيثُ السِّنِّ، وَبَيْتِي الْمَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكِحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرَى هَؤُلَاءِ، فَلَمَّا اضْطَجَعْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيَّ خَيْرًا فَأَرِنِي رُؤْيَا...»(٢) الحديث.

وفيه: أنه رأى في المنام رؤيا مبشرة، فبشره النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بخيرها.

شاهدنا من هذا أن الصحابة كانوا يهتمون بشأن الرؤيا بين يدي النبي -

---

(١) البخاري (٣)، مسلم (٢٣١).

(٢) رواه البخاري، برقم: (١١٢٢)، ومسلم، برقم: (٢٤٧٩).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، بل هو نفسه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- كان يحثهم على عرض رؤاهم عليه، وهذا يدل على فضل الرؤيا الصالحة.

فعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ:

«هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا؟»(١).

وعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- تُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ، فَرُبَّمَا قَالَ:

«هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟».

فَإِذَا رَأَى الرَّجُلُ رُؤْيَا سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ (٢).

المبحث السادس: أقسام الناس في باب الرؤى

إن ما تقدَّم من بيان فضل الرؤيا يوضح أنها ليست خرافة كما يظن بعض الجاهلين، وليست مجرد أحلامٍ مختلطةٍ لا معنى لها، بل هي علمٌ له أصول وضوابط، جاء ذكره في الوحيين، واعتنى به الأنبياء والعلماء.

غير أن الناس اختلفوا فيه على ثلاثة اتجاهات متباينة:

القسم الأول: قوم أنكروا هذا العلم جملةً وتفصيلًا، كالمعتزلة وبعض

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٢٧٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده»، برقم: (١٢٣٨٥)، وبرقم: (١٣٦٩٨) بإسناد صحيح.

الأشاعرة، ومن نحا نحوهم من الفلاسفة والعقلانيين.

هؤلاء يرون أن ما يراه الإنسان في منامه لا حقيقة له، وأنه مجرد صورٍ تتكون في الذهن نتيجة تفاعلات نفسية أو اضطرابات عضوية، وأنها أحاسيس تتولد من الرغبات المكبوتة أو المؤثرات اليومية، فلا مجال عندهم لتعبيرها أو تأويلها.

واحتجوا لذلك بتعليلاتٍ عقليةٍ فارغةٍ تتحدث عن الهرمونات والمراكز الدماغية ونحوها، غافلين عن البراهين الواضحة من الكتاب والسنة التي تثبت صدق الرؤيا ومنزلتها العظيمة.

القسم الثاني: قوم قابلوا أولئك بغلوٍّ مفرط، فجعلوا الرؤى مصدرًا للتشريع، كحال غلاة الصوفية والرافضة وسائر أهل البدع.

فبنى هؤلاء عباداتٍ وأحكامًا على مناماتٍ لا أصل لها، واخترعوا طرقًا وأذكارًا وأورادًا زعموا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمرهم بها في المنام، بل ادّعى بعضهم رؤية الله تعالى، وأنه كلمه وأمره بأوامر وتشريعات، وكل ذلك من تلبيس الشيطان ومكره.

ومن أشهرهم ابن عربي الصوفي الزنديق الذي زعم أنه رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأمره بأعمالٍ تخالف صريح الشرع، فوقع في الضلال المبين.

القسم الثالث: وهم أهل السنة والجماعة، الذين توسطوا بين الإفراط والتفريط، فأثبتوا للرؤيا مكانتها، لكن على وجهٍ مشروع.

قالوا: الرؤيا الصالحة حق، وهي من الله تعالى، يُستأنس بها ويُفرح بها، ولا يُبنى عليها حكمٌ ولا تُتلقى منها شريعة.

فما وافق الكتاب والسنة قبلوه وعدّوه بشارة، وما خالفهما رده المؤمن وعدّه من الشيطان، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(١) فميزانهم في كل ذلك الوحي لا المنام، والشرع لا الخيال.

المبحث السابع: رؤى الأنبياء وحي من الله وصدق وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إن الوحي الذي ينزل على نبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - يكون على أنواع وصور.

ومن تلك الصور:

أن يأتيه الوحي عن طريق المنام والرؤيا، فقد جاء عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ (٢).

وفي لفظ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا ابْتُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مِنَ النُّبُوَّةِ حِينَ أَرَادَ اللهُ كَرَامَتَهُ، وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ أَنْ لَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا جَاءَتْ

(١) رواه مسلم (١٧١٨).

(٢) رواه البخاري برقم: (٣)، ومسلم، برقم: (١٦٠).

مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ (١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، أنه قَالَ: كَانَتْ رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيًا(٢).

وَعَنْ عُبَيْد بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: إِنَّ رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢](٣).

وفي البخاري معلقا: وقال عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ -وهو من كبار التابعين -: رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠٢].

وعلى ذلك إجماع العلماء، أن رؤى الأنبياء وحي صلوات الله عليهم.

قال ابن عبد البر -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عزوجل -حَاكِيًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا-: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ﴾ [الصافات: ١٠٢] يَعْنِي: مَا أَمَرَكَ اللهُ بِهِ فِي مَنَامِكَ، وَهَذَا وَاضِحٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا. اهـ(٤).

فهذا يدل على أنه كان مقررا عنده أن هذا وحي من الله تعالى له، فلذلك بادر إلى تطبيق ما رأى في منامه على ظاهره، وهذا يدل على أن رؤى الأنبياء وحي.

---

(١) حديث صحيح، رواه الترمذي، برقم: (٣٦٣٢).

(٢) حديث حسن، رواه الحاكم، برقم: (٣٦١٣)، وابن أبي عاصم في «السنة»، برقم: (٤٦٣).

(٣) رواه البخاري، برقم: (١٣٨).

(٤) «الاستذكار».

قال المهلب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: هذا دليل أن رؤيا الأنبياء وحي لا يجوز فيها الضغث؛ لأن إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- حكم بصدقها، ولم يشك أنها من عند الله، فسهل عليه ذبح ابنه والتقرب به إلى الله، وكذلك فعل إسحاق(١) حين أعلمه أبوه إبراهيم برؤياه، فسلم لحكم الله ورضي، وانقاد له، وفوض أمره إلى الله فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [الصافات] بهذه الآية استدل ابن عباس على أن رؤيا الأنبياء وحي. اهـ(٢)

وفي هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: رؤى الأنبياء وحي، فهل هي على ظاهرها؟ أم تحتاج إلى تعبير؟

والجواب -والله الموفق للصواب-: أنها على أقسام:

منها ما يكون على ظاهره.

ومنها ما يكون غامضا، ويحتاج إلى تفسير وفك لرموزها.

وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة مشهورة أنه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- رأى في المنام رؤى فكان منها ما هو على ظاهرها، ومنها ما يحتاج إلى تفسير وفك لرموزها عند التأويل.

---

(١) اختلف العلماء في الذبيح المذكور في الآية الذي أمر الله إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- بذبحه، القول الأول: وهو مذهب جمهور أهل العلم، منهم عمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- أن الذبيح هو إسحاق -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-.

(٢) «شرح صحيح البخاري لابن بطال».

الأمثلة

مثال أول من الرؤى الظاهرة:

ما جاء، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-:

«أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ، فَإِذَا أَنْتِ هِيَ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ»(١).

قال النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرحه على مسلم» (١٥/ ٢٠٢):

قَالَ الْقَاضِي: إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَقَبْلَ تَخْلِيصِ أَحْلَامِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْأَضْغَاثِ فَمَعْنَاهَا إِنْ كَانَتْ رُؤْيَا حَقٍّ، وإِنْ كَانَتْ بَعْدَ النُّبُوَّةِ فَلَهَا ثَلَاثَةُ مَعَانٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُرَادَ إِنْ تَكُنِ الرُّؤْيَا عَلَى وَجْهِهَا وَظَاهِرِهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ وَتَفْسِيرٍ فسيمضه اللهُ تَعَالَى وَيُنَجِّزُهُ، فَالشَّكُّ عَائِدٌ إِلَى أَنَّهَا رُؤْيَا عَلَى ظَاهِرِهَا أَمْ تَحْتَاجُ إِلَى تَعْبِيرٍ وَصَرْفٍ عَلَى ظَاهِرِهَا.

الثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الزَّوْجَةُ فِي الدُّنْيَا يُمْضِهَا اللهُ، فَالشَّكُّ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا أَمْ فِي الْجَنَّةِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ لَمْ يَشُكَّ، وَلَكِنْ أُخْبِرَ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَأَتَى بِصُورَةِ الشَّكِّ كَمَا قَالَ أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْبَدِيعِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ يُسَمُّونَهُ تَجَاهُلَ

(١) رواه البخاري (٣٨٩٥) ومسلم (٢٤٤١) واللفظ له.

الْعَارِفِ، وَسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ مَزْجَ الشَّكِّ بِالْيَقِينِ. اهـ

وقال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المفهم» (٦/ ٣٢١):

وقوله: «إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ» ظاهره الشَّك في صحة هذه الرؤيا، فإنَّ كان هذا منه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- قبل النبوة، فلا إشكال فيه؛ لأنَّ حكمه حكم البشر، وأما إن كان بعد النبوة فهو مشكل، إذ رؤيا الأنبياء وحي كما تقدَّم، والوحي لا يشك فيه.

وقد انفصل عن هذا: بأن قيل: إن شكه لم يكن في صحة أصل الرؤيا، وإن ذلك من الله، ولكن في كون هذه الرؤيا على ظاهرها، فلا تحتاج إلى تعبير، أو في كونها امرأته في الدنيا، أو في الآخرة.

وقيل: لم يكن عنده شك في ذلك، بل محققًا له، لكنه أتى به على صورة الشك، وهو غير مراد، كما قال الشاعر:

أيا ظَبيَة الوَعساءِ بَينَ حَلاحِل وبَينَ النَّقا آنتِ أَم أُمُّ سَالِم؟

وهذا نوع من أنواع البلاغة معروف عند أهلها يسمى: تجاهل العارف، وقد سُمِّي مزج الشك باليقين، ونحو منه قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس:٩٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ [الأنبياء:١١١]، فإنه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- لم يشك في شيء من ذلك، لكن أتى به على التقدير لا التحقيق.

وقوله: «فَإِذَا هِيَ أَنْتِ» أي: إنه رآها في النوم كما رآها في اليقظة، فكان

المراد بالرؤيا ظاهرها. اهـ

مثال ثاني من الرؤى الظاهرة:

رؤيا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- في مرضه أن الوجع الذي أصابه كان بسبب السحر.

فعن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت: سَحَرَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ: قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ:

«يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟

جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ.

فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟

قَالَ: مَطْبُوبٌ.

قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟

قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ.

قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟

قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ.

قَالَ: وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ.

قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟

قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ».

قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ:

«يَا عَائِشَةُ وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ».

قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟

قَالَ: «لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ»(١).

فكانت هذه الرؤيا على ظاهرها، ولا تحتاج إلى تفسير، فهي من قبيل الوحي المنامي، وقد وقعت كما رآها، وحكت واقعا معايشا، وأمرا حادثا، وحالا محققا، فالذي سحر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- هو لبيد بن الأعصم وهو من اليهود، وفعلا جاءه الملكان، وقعدا عند رأسه، وسمع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- حديثهما وقولهما أنه مطبوب: أي: مسحور، وفعلا سحر في مشط...الخ.

فكل هذه الرؤيا كانت على ظاهرها.

وفي هذا الحديث من الفوائد:

الفائدة الأولى: أن العبد قد يبتلى بالسحر حتى وإن كان صالحا، وهذا

(١) رواه البخاري، برقم: (٣٢٦٨)، ومسلم، برقم: (٢١٨٩).

ليرفع الله به الدرجات، ويمحص الله به العبد في صبره واحتسابه، وثقته بالله وتوكله عليه.

الفائدة الثانية: أن الرؤيا قد تكون فرجا من الله، يكشف فيها مسببات علاج ذلك المبتلى.

فمثل هذه الرؤيا قد تحصل لغير الأنبياء، وهذا يحصل كثيرا، فكم فرج الله عن أقوام أصابهم السحر، واشتد عليهم البلاء والكرب، واكتشف من خلالها مكان السحر، أو اكتشف من خلالها سببا فيه الشفاء من مرضه، وغير ذلك بسبب رؤيا منامية، ومثل هذا قد عرض عليّ كثيرا في تفسير الأحلام.

مثال ثالث من الرؤى الظاهرة:

حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ:

«هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟».

قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ:

«إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا...» الحديث بطوله (١).

وهو من الرؤى الظاهرة التي لا تحتاج إلى تفسير.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٧٠٤٧).

المطلب الثاني: هل رؤى الأنبياء يخالطها أضغاث أحلام وحديث النفس وما كان من الشيطان؟

الجواب: يستحيل أن يكون كذلك، فإن المقرر بالبراهين الساطعة، والأدلة الصحيحة أن رؤى الأنبياء حق وصدق، ووحي، وهي من الله تعالى، وهي من قبيل المبشرات، ولم يختلف أحد من أهل الإسلام في ذلك، والأدلة معروفة ومبسوطة من الكتاب والسنة، وقد تقدم بعضها.

فمنها: رؤيا إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أنه يذبح ولده وستأتي معنا بإذن الله.

ومنها: ما جاء عن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: «**رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ**».

ومنها: رؤيا يوسف وستأتي معنا بإذن الله.

ومنها: ما جاء عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

«**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنِ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا، فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي، أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيُّ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ**»(١).

الشاهد منه قوله: «**فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ...**».

ومنها: وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنفال] وستأتي معنا.

---

(١) رواه البخاري، برقم: (٤٣٧٣)، ومسلم، برقم: (٢٢٧٤).

مسألة: لماذا رؤيا الأنبياء لا يداخلها أضغاث الأحلام ولا ما كان من الشيطان ولا حديث النفس؟

الجواب: قال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ٣٠):

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ، حَسْبَمَا بَيَّنَّاهُ فِي كُتُبِ الْأُصُولِ وَشَرْحِ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ فِي التَّخْيِيلِ سَبِيلٌ، وَلَا لِلِاخْتِلَاطِ عَلَيْهِمْ دَلِيلٌ، وَإِنَّمَا قُلُوبُهُمْ صَافِيَةٌ، وَأَفْكَارُهُمْ صَقِيلَةٌ، فَمَا أُلْقِيَ إلَيْهِمْ، وَنَفَثَ بِهِ الْمَلِكُ فِي رَوْعِهِمْ، وَضَرَبَ الْمَثَلَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَهُوَ حَقٌّ؛ وَلِذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: وَمَا كُنْت أَظُنُّ أَنَّهُ يَنْزِلُ فِي قُرْآنٍ يُتْلَى، وَلَكِنْ رَجَوْت أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا. اهـ

المبحث الثامن: منزلة رؤى الناس غير الأنبياء

الرؤى التي يراها الناس تتفاوت صدقًا وضعفًا بحسب حال أصحابها، أما رؤى الأنبياء فهي وحيٌ صادق لا يتطرق إليه الباطل.

وأما غيرهم من البشر، فتنقسم رؤاهم إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

القسم الأول: رؤى الصالحين

وهؤلاء هم أهل الإيمان والاستقامة، وغالب رؤاهم صادقة، ورموزها منسجمة مع قواعد التعبير، وقد يداخلها شيء من الحواشي التي لا اعتبار لها.

والمفسر البصير يميّز بين ما له دلالة وما لا فائدة منه، فيجمع الرموز الصالحة ويطرح غيرها.

وقد أوصى العلماء من أراد إتقان هذا العلم أن يحفظ أصول التعبير المأخوذة من القرآن والسنة، ويُحسن الربط بين الرموز والمعاني.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»(١).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ:

«لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ».

قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟

قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»(٢).

فدلّ ذلك على أن رؤى المؤمنين -بحسب صلاحهم وصدقهم واستقامتهم- هي أقرب إلى الصواب والصدق.

القسم الثاني: رؤى المستورين

وهم من جُهل حالهم، فلا يُدرى أهم من الصالحين أم من الفاسقين، فهؤلاء قد تصدق رؤاهم أحيانًا وقد تخطئ، وليس في الغالب ميزانٌ دقيقٌ

---

(١) رواه البخاري (٧٠١٧) ومسلم (٢٢٦٣)

(٢) رواه البخاري، برقم: (٦٩٩٠).

يضبطها.

فإذا عُرضت رؤيا من مجهول الحال، اجتهد المعبّر في النظر إلى رموزها وربط بعضها ببعض، متوسلًا بالفراسة والمعرفة، حتى يتبين له وجهها.

وقاعدة ذلك: بحسب استقامة العبد تكون قوة رؤياه وصحة وقوعها.

القسم الثالث: رؤى الكفار

وقد تقع لهم رؤى صادقة كما في قصة عزيز مصر في سورة يوسف، لكن الغالب على رؤاهم الكذب والاضطراب، إذ حياتهم قائمة على الشرك والباطل، والرؤيا من الله فلا يُكرم بها من حادّ شرعه إلا نادرًا.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«رُؤْيَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»(١).

فخصّ الصالح بذلك دون الكافر.

وخلاصة الأمر أن الناس في رؤاهم على ثلاث درجات:

الأنبياء: رؤاهم وحي وحق كلها.

الصالحون: يغلب على رؤاهم الصدق، وقد يشوبها ما لا يحتاج إلى تأويل.

سائر الناس: منهم المستور، فالغالب عليه التوسط، ومنهم الفاسق والكافر، فالغالب على رؤاهم الاضطراب والخلط.

فكلما صفا القلب من الكذب والمعصية، صفَت رؤياه من الأوهام

---

(١) رواه مسلا (٢٢٦٣)

والاضغاث، وكان أقرب إلى الصواب بإذن الله.

المبحث التاسع: هل تعبير الأحلام من قبيل الإلهام وهل يمكن أن يكون بغير مستند؟

الإلهام ثابت بالكتاب والسنة، وهو مسألة متفق عليها بين أهل السنة، وكلهم متفقون على أنه قد يُلهم الله العبد التوفيق والسداد في أموره، ويطلعه ويقذف في قلبه خفايا بعض الأمور.

ومن أصرح ما يُستدل به في هذه المسألة حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتح الباري» (٧/ ٥٠):

قَوْلُهُ: «مُحَدَّثُونَ» بِفَتْحِ الدَّالِ جَمْعُ مُحَدَّثٍ، وَاخْتُلِفَ فِي تَأْوِيلِهِ: فَقِيلَ: مُلْهَمٌ، قَالَهُ الْأَكْثَرُ، قَالُوا: الْمُحَدَّثُ بِالْفَتْحِ هُوَ الرَّجُلُ الصَّادِقُ الظَّنِّ، وَهُوَ مَنْ أُلْقِيَ فِي رُوعِهِ شَيْءٌ مِنْ قِبَلِ الْمَلَإِ الْأَعْلَى، فَيَكُونُ كَالَّذِي حَدَّثَهُ غَيْرُهُ بِهِ».

ومن بابه ما جاء عن أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-:

«نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ

الْخَيْرِ وَالشَّرِّ»(١).

قال المناوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في «فيض القدير» (٢/ ٤٨٠):

«إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ» أي: كأنها تُركب ألسنتها على ألسنتهم، «بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» لأن مادة الطهارة إذا غلبت في شخص واستحكمت صار مظهرا للأفعال الجميلة...».

فالإلهام إذن قذفُ الحق في القلب، وهو نوع من الوحي غير التشريعي، وقد يختص الله به بعض عباده الصالحين.

قال ابن منظور: «الإلهام أن يُلقي الله في النفس أمرًا يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي، يخص الله به من يشاء من عباده».

والإلهام على حالين:

أحدهما: إلهام الدلالة والتوفيق، كما في قوله تعالى عن أم موسى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧].

وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل:٦٨].

فهذا وحي دلالة وهداية.

وعلى هذا يحمل الإلهام في باب تفسير الأحلام، فهو توفيق إلهي للمفسر لمعرفة القياس الصحيح والدلالة المناسبة من القواعد المستنبطة من القرآن والسنة ولغة العرب، فيستنبط بها التأويل الصحيح.

وعلامة المفسر المُلهم أنه إذا سُئل عن وجه تفسيره بيّنه بدليله، وشرح

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١٤٠١)

الرموز التي اعتمد عليها في التأويل، فهذا هو الإلهام الصحيح، أي الهداية لمعرفة الصواب في التفسير.

أما من فسر بلا علم ولا دليل، وقال: «قذف الله في قلبي التفسير»، ولا يدري كيف ولا على أي أصل بُني تفسيره، فهذا ليس من الإلهام، بل أحد أمرين:

إما أنه تكلف وكذب في التفسير، وإما أنه يستعين بالجن فيلقنونه ما يقول، وهو من الاستعانة المحرمة.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «منهاج السنة» (٨/ ٦٩):

لم يكن يجوز لعمر أن يُفتي ولا أن يقضي بمجرد ما يُلقى في قلبه حتى يعرض ذلك على الكتاب والسنة، فإن وافقه قبله، وإن خالفه رده».

فليس معنى الإلهام أن يُقذف التفسير في القلب بلا أصل، بل أن يُلهم المفسر وجه الصواب بعد الاجتهاد والتفكر.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين» (١/ ٧٢):

«الإلهام الصحيح لا يخرق سترًا، ولا يجاوز حدًا، ولا يخطئ أبدًا».

وعليه؛ فتعبير الأحلام ليس من الغيب المطلق، بل من باب الظن الغالب والتوفيق.

قال الإمام الألباني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في «موسوعة العقيدة» (٣/ ٨٨٦):

«ابن سيرين وأمثاله ممن يُوهبون علم تأويل الرؤيا فذلك ليس من باب الاطلاع على الغيب، وإنما هو الظن، والظن قد يصيب وقد يخطئ».

فهو علم وهبة ربانية، يوفق الله به من شاء من عباده المؤمنين، كما قال تعالى عن يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:٦].

فالخلاصة:

أن تعبير الأحلام علمٌ مستند إلى أصولٍ شرعيةٍ ولسانية، وهبةٌ ربانيةٌ يُلهم الله بها عبده المفسر التوفيق للصواب بلا تكلّف، لكنها لا تخرجه عن كونه اجتهادًا بشريًا لا يُبنى عليه حكم شرعي، ولا يُنسب إلى الغيب، والله أعلم.

فائدة في معنى الفراسة في تفسير الأحلام:

تعريف الفِراسة -بالكسر-:

لغة: اسم من قولك: تفرست في فلان الخير، وهو: الإدراك والاطلاع والتجلي على ما في الضمائر والبواطن.

واصطلاحًا: قال ابن الأثير -رَحِمَهُ اللَّهُ في «النهاية»:

وهو على معْنَيَيْن:

أَحَدُهما: وَهُوَ مَا يوقِعُه اللهُ تَعَالَى فِي قُلوب أَوْلِيَائِهِ، فيَعْلَمون أَحْوَالَ بَعْضِ النَّاسِ بِنَوْعٍ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَإِصَابَةِ الظَّنّ والحَدْس.

وَالثَّانِي: نَوع يُتَعَلَّم بِالدَّلَائِلِ وَالتَّجَارِبِ والخَلْق وَالْأَخْلَاقِ، فَتُعْرف بِهِ أحوالُ النَّاسِ.

قلت: والفراسة ثابتة في الشرع، ومن أدلة ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي

﴿ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر] أي: المتفرسين الذين يفهمون حقائق الأمور، ويدركون معانيها، ويتفكرون في مدلولها، وقد فسره بالمتفرسين الناظرين: ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وتلميذه مجاهد بن جبر -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

وعن أنس بن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ لِلَّه عزوجل عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ»(١).

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «فيض القدير» (٢/ ٦٠٥):

«إِنَّ لِلَّه عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ» أي أحوالهم وضمائرهم، «بِالتَّوَسُّمِ»: أي التفرس، فجاد عليهم بكشف الغطاء عن قلوبهم، فأبصروا بها بواطن الناس، واطلعوا على ضمائرهم، وأما من شغل بنفسه ودواهيها فليس من أهل هذا الباب، بل فراسته خدعت نفسه له حتى تدسه في التراب. اهـ

فالفراسة شأنها عظيم، إذا كان صاحبها من أهل الصلاح والورع والخير، وهي في باب تفسير الأحلام ركنٌ متين يعتمد عليه المعبّر في تنزيل التأويلات على الناس كلٌّ بحسب حاله، فإن المفسر إذا كان ذا فراسة صادقة، رزقه الله ذكاءً وفهمًا قلّ أن يخطئ معه في تعبير أي رؤيا تُعرض عليه.

فالفراسة نورٌ يقذفه الله في القلب، تكشف له خفايا الأمور وتفتح له مغاليق المعاني، فيدرك من مدلولات الرؤى ما يخفى على غيره.

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، برقم: (٢٩٣٥)، وحسنه العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٢٦٧).

ولذا كان اكتساب الفراسة وتزكية النفس شرطًا مهمًا لإصابة الصواب في التأويل.

واعلم – أيها المتعلم لهذا الفن – أن ارتباط تفسير الأحلام بالفراسة أصلٌ عظيم من أصول هذا العلم، فمن أوتي الفراسة الصادقة، أوتي إدراكًا وتمييزًا عجيبًا في تفسير رؤى الناس، وألهمه الله التوفيق والسداد في ذلك.

فمن رزقه الله فراسةً نادرة، فقد حاز على نصف هذا العلم – بل وأكثر – لأن الفراسة تبصره بحال الرائي وسره، فتكون له كالمرآة في تنزيل المعاني على أحوال النفوس.

فعليك – أيها الطالب لهذا الفن الجليل – أن تكون عالي الهمة في اكتساب الفراسة، ولن تنالها إلا بصفاء القلب وطهارة الباطن، فكلما تخلّصت من الذنوب والمعاصي، صفا بصرك الباطن، وصدق حدسك، وأصاب ظنك، كما قال بعض السلف: «من عمر قلبه بالتقوى، لم تخطئ له فراسة».

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إغاثة اللهفان» (١/ ٤٨):

الفائدة الثانية في غض البصر: نور القلب وصحة الفراسة، قال أبو شجاع الكرماني: من عمَّر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال، لم تخطئ له فراسة، وقد ذكر الله سبحانه قصة قوم لوط وما ابتلوا به، ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر]، وهم: المتفرسون الذين

سلموا من النظر المحرم، والفاحشة، وقال تعالى -عقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم، وحفظ فروجهم-: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور:٣٥]، وسر هذا: أن الجزاء من جنس العمل، فمن غض بصره عما حرم الله عز و جل عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات، أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره، ولم يغضه عن محارم الله تعالى، وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه، فإن القلب كالمرآة، والهوى كالصدأ فيها، فإذا خلصت المرآة من الصدأ انطبعت فيها صور الحقائق كما هي عليه، وإذا صدئت لم ينطبع فيها صور المعلومات، فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون. اهـ

الخلاصة:

- الإلهام ثابت شرعًا، وهو من الله لا من العبد.
- لا يكون إلا لأوليائه الصالحين.
- لا يُبنى عليه حكم شرعي ولا غيبٌ مطلق.
- في تفسير الأحلام هو توفيقٌ لفهم المعاني على أصولها الصحيحة.

أما من يدّعي أن تفسيره وحيٌ قُذف في قلبه بلا دليل، فهو بين كاذبٍ أو مستعينٍ بالجن.

والفراسة نور الله في قلب عبده، وهي عونٌ للمفسر على تنزيل التأويل على حال الرائي.

فهذان الأصلان – الإلهام والفراسة – متى اجتمعا في عبدٍ صالحٍ عالمٍ بالكتاب والسنة، كان من أهل السداد والتوفيق في هذا الباب الجليل.

الباب الثاني: الرؤى الواردة في القرآن الكريم

تبين مما سبق أن الرؤيا الصادقة بابٌ عظيم من أبواب رحمة الله بعباده، جعلها سبحانه وسيلة للبشارة والتثبيت، ومظهراً من مظاهر عنايته بأوليائه، وقد اشتمل القرآن على نماذج منها جاءت في ثمان آيات كريمة، كلّها تدل على صدق الرؤيا الإيمانية، وتكشف عن دلالات عقدية وتربوية جليلة.

وسيأتي في المباحث التالية – بعون الله – بيان هذه الرؤى بالتفصيل، مع دراسة تفسيرية تحليلية شاملة لكل آية وما تضمنته من دروس وإشارات.

الفصل الأول رؤياه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم بدر وقول الله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ الآية

المبحث الأول: تفسير الآية

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأنفال:٤٣].

يخبر الله سبحانه وتعالى عن نبيه الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه يوم بدر – تلك المعركة العظيمة التي وقعت في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة – رأى في منامه رؤيا صادقة كانت من أعظم أسباب الثبات والتشجيع للمؤمنين، إذ بشّرتهم بالنصر وأزالت عنهم الخوف والوجل.

فقد كان المشركون حينئذٍ كثرةً كاثرة، تراوح عددهم بين التسعمائة إلى الألف مقاتل، في حين لم يزد عدد المسلمين على ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا.

فكانت هذه الرؤيا من رحمة الله بنبيه وبالمؤمنين؛ إذ أراه أعداءه قليلين تسليةً له وتخفيفًا على أصحابه، ولئلا يقع فيهم التنازع أو الفشل.

فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أصحابه بما رأى، فامتلأت قلوبهم ثباتًا

وعزيمة، واشتدت هممهم في لقاء عدوّهم، فكان ذلك من أعظم أسباب النصر يوم بدر.

وفي الواقع، تحقق مضمون الرؤيا، فكان المشركون في أعين الصحابة قلة قليلة، كما أن المسلمين ظهروا في أعين الكفار أقلَّ مما هم عليه، ليبعث القوة في نفوسهم.

وكانت تلك الرؤيا الكريمة بشارةً وتفريجًا لكربة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ومصداقًا للوعد الإلهي بالنصر والتأييد.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره ت سلامة (٤/ ٦٩):

قَالَ مُجَاهِدٌ: أَرَاهُ اللهُ إِيَّاهُمْ فِي مَنَامِهِ قَلِيلًا فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ، فَكَانَ تَثْبِيتًا لَهُمْ.

وَكَذَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَحَكَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ رَآهُمْ بِعَيْنِهِ الَّتِي يَنَامُ بِهَا. اهـ

قلت: أثر مجاهد صحيح، رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢١٠) من طريق معمر بن راشد وشبل بن عباد المكي وورقاء بن عمر اليشكري، ثلاثتهم عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا، قَالَ: أَرَاهُ اللهُ إِيَّاهُمْ فِي مَنَامِهِ قَلِيلا، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ، فَكَانَ تَثْبِيتًا لَهُمْ».

وكذلك أثر إسحاق صحيح، رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٧٠) فقال:

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا سَلَمَةُ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاق: إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قليلا الآيَةَ: فَكَانَ أَوَّلُ مَا أَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، شَجَّعَهُمْ بِهَا عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَكَفَّ بِهَا عَنْهُمْ مَا تَخَوَّفَ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَعْفِهِمْ، لِعِلْمِهِ بِمَا فِيهِمْ.

قلت: هذا هو قول عامة المفسرين: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رآهم قبل لقائهم في نومه قليلين، مع أنهم في الحقيقة كانوا كثيرين، وهذا القول هو الصواب.

وخالف في ذلك بعض علماء اللغة، فزعموا أن المراد بقوله تعالى ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ﴾ أي: في عينك التي تنام بها، أي أنه لم يرهم في نومه قبل القتال، بل رآهم حال اليقظة قليلين، توطئةً وتشجيعًا للمؤمنين، وهذا قول ضعيف مخالف لظاهر القرآن ولسياق اللغة.

وقد بسط ابن منظور هذه المسألة ورجّح القول الأول فقال في «لسان العرب» (١٢/ ٥٩٦):

قَالَ الزَّجَّاجُ: رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَن مَعْنَاهَا فِي عَيْنِكَ الَّتِي تَنامُ بِهَا، قَالَ: وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ النَّحْوِ ذَهَبُوا إِلَى هَذَا، وَمَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ إِذْ يُرِيكَهم اللهُ فِي مَوْضِعِ مَنَامِكَ أَيْ فِي عينك، ثُمَّ حَذَفَ الموضعَ وأَقام المَنامَ مُقامَه، قَالَ: وَهَذَا مذهبٌ حَسَنٌ، وَلَكِنْ قَدْ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، رَآهُمْ فِي النَّوْم قَلِيلًا وقَصَّ الرُّؤْيا عَلَى أَصْحَابه فَقَالُوا صَدَقتْ رؤْياك يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: وَهَذَا المذهبُ أَسْوَغ فِي الْعَرَبِيَّةِ لأَنه قَدْ

جَاءَ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ فَدَلَّ بِهَا أَنَّ هَذِهِ رؤْيَة الِالْتِقَاءِ وَأَن تِلْكَ رؤْيَة النَّوْم. اهـ

قلت: قوله «أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ رآهم في النوم قليلًا وقص الرؤيا على أصحابه...» لم أجد له أصلًا.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زاد المسير» (٣/ ٣٦٣):

قوله تعالى ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ رأى عسكر المشركين في المنام قبل لقائهم في قلة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وقال مجاهد: لما أخبر أصحابه بأنه رآهم في المنام قليلا كان ذلك تثبيتًا لهم.

قال أبو سليمان الدمشقي: والكلام متعلق بما قبله، فالمعنى وإن الله لسميع لما يقوله أصحابك عليم بما يضمرونه إذ حدثتهم بما رأيت في منامك.

والثاني: إذ يريكهم الله بعينك التي تنام بها، قاله الحسن، قال الزجاج: وكثير من النحويين يذهبون إلى هذا المذهب، ومعناه عندهم إذ يريكهم الله في موضع منامك أي بعينك، ثم حذف الموضع وأقام المنام مقامه. اهـ

قلت: ومما جاء في هذا الباب ما رواه أحمد بن منيع كما في «المطالب العالية» لابن حجر (١٧/ ٣١٥) قال:

حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾، قَالَ: لَقَدْ قَلَّلُوا فِي أَعْيُنِنَا، حَتَّى قُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِي: أَتُرَاهُمْ سَبْعِينَ؟ فَقَالَ: أُرَاهُمْ مِائَةً، حَتَّى أَخَذْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ، فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: كُنَّا أَلْفًا.

وإسناده صحيح، غير أن أهل العلم اختلفوا في رواية أبي عبيدة - واسمه عامر بن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبيه، والجمهور على أنه لم يسمع منه، كما في «جامع التحصيل في أحكام المراسيل» للعلائي (١/ ٢٠٤).

الخلاصة:

لقد كانت رؤيا بدر مفتاح النصر الإلهي ومشهدًا من مشاهد العناية الربانية، أراد الله بها أن يهيّئ القلوب ويجمع الصفوف، ويغرس في الأمة قاعدةً خالدة: أن النصر لا يكون بالعدد ولا بالسلاح، بل بالإيمان والصدق والتسليم لأمر الله.

وفيها درس للأمة أن الرؤيا الصادقة قد تكون من أعظم وسائل التثبيت، وأن الله إذا تولّى عبده بلطفه سلّمه من الفشل والتنازع، وأظهر له الحق في أنقى صوره.

فهي رؤيا صدقٍ من نبيّ صدقٍ في موقفٍ صدقٍ، خُطّت بمداد الوحي، لتبقى آيةً شاهدة على أن من صدق مع الله صدق الله معه، وكتب له النصر والعاقبة.

المبحث الثاني: رموز رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأنفال:٤٣].

أولا: رمزية القلّة في الرؤيا

القِلَّة في الرؤى قد تكون رحمةً من الله، وتثبيتًا للقلب، وتخفيفًا من مهابة الواقع.

وقد أرى اللهُ نبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المشركين قِلَّةً في منامه ليقوى قلبه ويقوى عزم أصحابه، فإن رؤية العدو قليلاً تُشجِّع على اللقاء، وتبعث في النفوس روح الثبات والاطمئنان.

وقياسًا على ذلك: «من رأى في منامه أمرًا مخوفًا بصورته المخففة»، دلّ على أن الله يلطف به، ويظهر له الأمر على قدر احتماله، لا على حقيقته الكاملة؛ رحمةً وتطمينًا.

ثانيًا: رمزية الكثرة

الكثرة في الرؤيا قد تكون سببًا للفشل أو الاضطراب إن لم يكن القلب مهيأً لها.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ﴾، فالكثرة هنا ليست حقيقةً عددية فحسب، بل رمزٌ للهيبة والرهبة، وما قد يقع بسببها من ضعفٍ وتنازع.

وقياسًا على ذلك: «من رأى في منامه أعدادًا عظيمةً من المخاوف أو

الأعداء»، فقد يدل ذلك على هيبةٍ في القلب، أو اختبارٍ في الثبات، أو خوفٍ داخليٍّ يحتاج إلى علاجٍ بالإيمان واليقين.

ثالثًا: قاعدة تعبير الرؤيا بالمقلوب

ويُستنبط من هذه الآية قاعدةٌ من أدقّ قواعد التعبير، وهي «قاعدة تعبير الرؤيا بالمقلوب»؛ وذلك أن الله تعالى أرى نبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ العدوَّ قليلًا في المنام، مع أنهم في الحقيقة أكثر بكثير.

فكان هذا التفاوت بين صورة المنام وحقيقة الواقع مقصودًا لِمَا يترتب عليه من الحكمة والتثبيت، لا لأن الرؤيا تخالف الحقائق، ولكن لأن المراد فيها المعنى لا الصورة، والمقصد لا الشكل.

فالقِلَّةُ هنا ليست خبرًا عن عددهم، بل رمزٌ لمعنى النصر والطمأنينة، كما أن الكثرة في الحقيقة رمزٌ لما قد يقع في القلوب من خوفٍ أو رهبة.

فالرؤيا جاءت مقلوبةً في ظاهرها، مستقيمةً في حكمتها، فوافق تأويلُها مقصودَها.

وقياسًا على ذلك: قد تُرى الأمور في المنام بغير صورتها الواقعية، بل بضدّها، إذا كان الضدّ هو الذي يعبّر عن المراد:

فيُرى الضعيف قويًّا ليُفهم أنه سيُعان.

ويرى المهمومُ نفسه مسرورًا ليُعلم قرب الفرج.

ويرى المريضُ عافيةً بخلاف واقعه، فيكون ذلك بشارة.

ويرى المخذولُ نفسه منتصرًا ليزداد ثباتًا.

فهذه كلها من تعبير الرؤيا بالمقلوب، حيث يُقاس المعنى على المآل لا على الصورة، وعلى الرمز لا على الهيئة الظاهرة.

وهذه القاعدة مما لا يدركه إلا من فقه أسرار التعبير، وعرف المقاصد واللطائف، وسار على منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في النظر إلى جوهر الرمز لا إلى شكله.

وهو منهج في التعبير يعتمد النظر في المقاصد، لا في الأعداد والأشكال وحدها.

ومن سار على هذا النهج، فإنه يجعل الرؤيا دليلًا على الحكمة، ويزن رموزها بميزان السنن الإلهية، لا بالتخرص والحدس.

المبحث الثالث: بعض الفوائد المستنبطة من الآية

اشتملت هذه الآية الكريمة على فوئد عظيمة، منها:

الأولى: أن الرؤيا الصالحة من الله، وهي وحي وفيها رد على من أنكر حقيقة الرؤيا من المعتزلة وغيرهم.

الثانية: أن رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حقٌّ لا يخطئ.

الثالثة: أن الله هو الذي دبّر الرؤيا.

الرابعة: أن الرؤيا سبب للنصر أو للهزيمة بأمر الله.

الخامسة: حكمة الله في تقليل العدو لتقوية الإيمان.

السادسة: رحمة الله بالمؤمنين إذ لم يُرِهم كثرتهم.

السابعة: أن الخوف من الكثرة فطرة بشرية خفّفها الله عنهم.

الثامنة: أن الله يعلم ما تخفيه الصدور من رهبةٍ وضعفٍ.

التاسعة: أن النصر بتأييد الله لا بكثرة العدد.

العاشرة: أن الرؤيا الصالحة تربيةٌ إيمانية وتمهيدٌ نفسي.

الحادية عشرة: أن الله ربّى نبيَّه وأصحابه بتدبيرٍ مباشرٍ منه.

الثانية عشرة: أن القائد الحق يزرع الثقة في جنوده.

الثالثة عشرة: أن تقليل العدو سنّةٌ في مواطن البلاء.

الرابعة عشرة: أن الله يُظهر العدوّ على غير حقيقته لحكمةٍ بالغة.

الخامسة عشرة: بيان بشرية المؤمنين وضعفهم لولا تسديد الله.

السادسة عشرة: أن السلامة من الفشل بفضل الله وحده.

السابعة عشرة: التفريق بين رؤيا المنام ورؤية العين في بدر.

الثامنة عشرة: أن الرؤيا كانت من مقدمات النصر وبوادره.

التاسعة عشرة: أن السنن الإلهية ثابتةٌ لا تتخلف.

العشرون: أن لطف الله يجري في أشد المواطن خفاءً.

المبحث الرابع: إعراب الآية

قول الله ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأنفال:٤٣].

«إِذْ» بدل ثان من يوم في قوله يوم الفرقان، أو ظرف متعلق بقوله سميع أو عليم.

«يُرِيكَهُمُ» فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء للثقل، والكاف ضمير متصل مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول، والهاء مفعول به ثان والميم لجمع الذكور.

«اللهُ» لفظ الجلال فاعل.

«فِي مَنامِكَ» متعلقان بالفعل، والجملة في محل جر بالإضافة.

«قَلِيلًا» مفعول به ثالث.

«وَلَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً» الجملة معطوفة.

«لَفَشِلْتُمْ» فعل ماض والتاء فاعله والميم لجمع الذكور، واللام واقعة في جواب الشرط فالجملة لا محل لها جواب شرط غير جازم.

وجملة «وَلَتَنازَعْتُمْ» معطوفة.

«فِي الْأَمْرِ» متعلقان بالفعل

«وَلكِنَّ اللهَ» لكن واسمها وجملة

«سَلَّمَ» في محل رفع خبرها والجملة الاسمية معطوفة.

«إِنَّهُ عَلِيمٌ» إن واسمها وخبرها.

«بِذاتِ» متعلقان بعليم.

«الصُّدُورِ» مضاف إليه والجملة مستأنفة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكَهُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الأنفال: ٤٤].

«وَإِذْ» عطف.

«يُرِيكُمُوهُمْ» يريكم فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء للثقل.

والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به والميم للجمع وقد أشبعت ضمتها إلى الواو والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به ثان.

«إِذْ» ظرف متعلق بالفعل.

«الْتَقَيْتُمْ» فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعل والميم لجمع الذكور.

«فِي أَعْيُنِكُمْ» متعلقان بقليلا.

«قَلِيلًا» حال لأن يري بصرية وليست قلبية، والجملة في محل جر بالإضافة.

«وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ» عطف.

«لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً» فعل مضارع وفاعل ومفعول به والمصدر المؤول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بيقللكم.

«كانَ مَفْعُولًا» كان وخبرها واسمها محذوف والجملة صفة.

«وَإِلَى اللهِ» متعلقان بترجع.

«تُرْجَعُ» مضارع مبني للمجهول

«الْأُمُورُ» نائب فاعل والجملة مستأنفة. اهـ (١)

---

(١) انظر «إعراب القرآن الكريم» ـ دعاس (١/ ٤٣١)

الفصل الثاني البشرى في الحياة الدنيا: وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾

المبحث الأول: تفسير الآية

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة يونس:٦٢-٦٤].

يُخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات العظيمة عن أوليائه المكرَّمين، الذين صدق إيمانهم، واستقامت جوارحهم على طاعة ربهم، فجمعوا بين الإيمان والتقوى، فاستحقوا بهذا الوصف الشريف أن يكونوا من أولياء الله الذين لا خوفٌ عليهم في مستقبلهم، ولا حزنٌ يعتريهم على ماضيهم، لطمأنينتهم بما وعدهم الله به من رضوانه وجنّته.

ثم وعدهم سبحانه بوعد كريم فقال: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾، أي لهم في الدنيا كرامة الله وطمأنينته، وفي الآخرة نعيمه المقيم وفضله العظيم، فجمعت لهم البشارة بين الدارين، وامتدت آثارها في حياتهم ومماتهم.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية (٤/ ٢٧٨):

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، كَمَا فَسَّرَهُمْ رَبُّهُمْ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا: أَنَّهُ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أَيْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ عَلَى مَا وَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا. اهـ.

قلت: دلّ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن الولاية لله تُنال بالإيمان الصادق والتقوى الخالصة، كما أخذ من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، فكل من جمع هذين الوصفين فهو لله وليٌّ مقرّب.

وعرّف الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوليَّ في كتابه النفيس «قطر الولي على حديث الولي» (ص: ٢٢٣) فقال:

قَالَ فِي «الصِّحَاح»: وَالْوَلِيّ ضد الْعَدو انْتهى.

وَالْولَايَة ضد الْعَدَاوَة.

وأصل الْولَايَة الْمحبَّة والتقرب كَمَا ذكره أهل اللُّغَة، وأصل الْعَدَاوَة البغض والبعد.

قَالَ ابْن حجر فِي «فتح الْبَارِي»: المُرَاد بولِي الله الْعَالم بِالله تَعَالَى المواظب على طَاعَته المخلص فِي عِبَادَته.

وَهَذَا التَّفْسِير للْوَلِيّ، هُوَ الْمُنَاسب لِمَعْنى الْوَلِيّ الْمُضَاف إِلَى الرب سُبْحَانَهُ.

وَيدل على ذَلِك مَا فِي الْآيَات القرآنية... فأولياء الله هم خلص عباده القائمون بطاعاته المخلصون له. اهـ.

قلت: والكلام على حقيقة الولاية وأقسامها طويل الذيل، ليس هذا

موضع تفصيله، ومن أراد التوسع فيه فعليه بكتاب «قطر الولي» للشوكاني، فهو من أنفس ما أُلِّف في هذا الباب، جمع بين التحقيق والبيان، وأتى فيه بما يشفي الغليل.

وأما المقصود في هذا الموضع فهو بيان معنى البشرى المذكورة في الآية، فأقول وبالله التوفيق:

إن لفظ البشرى في القرآن لفظٌ عامٌّ يشمل جميع وجوه الخير والفضل التي يمنّ الله بها على عباده المؤمنين.

ففي الآخرة، البشرى هي كل ما يُبشَّر به المؤمنون من نعيمٍ ورضوانٍ ومغفرة.

قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ [يونس: ٢].

قال الإمام السعدي في «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٣٥٧):

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إيمانا صادقا ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لهم جزاء موفور وثواب مذخور عند ربهم بما قدموه وأسلفوه من الأعمال الصالحة الصادقة. اهـ.

ومن آيات البشرى في الآخرة قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٧]

وقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ

مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ [التوبة: ٢١]

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥].

وأما البشرى في الحياة الدنيا، فهي تشمل كلَّ لطفٍ ورحمةٍ يخصّ الله بها أولياءه في دنياهم: من سكينةٍ في القلوب، وراحةٍ في النفوس، وثباتٍ على الحق، وتيسيرٍ في الطاعة، وتوفيقٍ إلى الصالحات، كما تشمل الرؤيا الصالحة التي يكرم الله بها عبده المؤمن، فيرى فيها ما يُبشّره بخيرٍ قادم، أو نصرٍ قريب، أو رفع بلاءٍ، فتكون له نورًا يُضيء طريقه، ودليلًا على محبة الله له.

وخلاصة القول: أن أولياء الله الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى، قد نالوا بشارتين عظيمتين: بشارةً في دنياهم بما يطمئن قلوبهم ويثبتهم، وبشارةً في آخرتهم بما يخلّدهم في نعيم ربهم، وأكمل هذه البشريات في الدنيا هي الرؤيا الصالحة، فهي من محبة الله ولطفه، يرسل بها إلى عباده إيناسًا لهم وتثبيتًا، كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

فالرؤيا الصالحة إذًا هي بشارة الله العاجلة لعباده المؤمنين، ورحمةٌ يسوقها إليهم في نومهم كما يسوق إليهم التوفيق في يقظتهم، وهي من دلائل الإكرام والولاية، ومن آثار النبوة الباقية في هذه الأمة إلى قيام الساعة.

ولهذا فسّر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هذه البشرى في الدنيا بالرؤيا الصالحة، وإليك بيان الأحاديث الواردة في ذلك:

الحديث الأول:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

«لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يُبَشَّرُ بِهَا الْعَبْدُ، جُزْءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»

هذا حديث صحيح.

رواه أحمد في «مسنده»، برقم: (٧٠٤٤)، وابن جرير في «تفسيره»، برقم: (١٧٧٢٩)، والبيهقي في «الشعب»، برقم: (٤٧٦٤)، من طريق ابن لهيعة، وعمرو بن الحارث، عن دراج، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عبد الله بن عمرو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- به.

رجال الإسناد:

ابن لهيعة: عبد الله، ضعيف، صالح في الشواهد والمتابعات.

عمرو بن الحارث: هو الأنصاري، من رجال الشيخين، قال الحافظ -في التقريب: ثقة، فقيه، حافظ.

دراج: هو ابن عبد الله، أبو السمح، قال الحافظ -في التقريب-: صدوق.

عبد الرحمن بن جبير: هو المؤذن، من رجال مسلم، قال الحافظ -في التقريب-: ثقة، عارف بالفرائض.

عبد الله بن عمرو بن العاص: قال الحافظ -في التقريب-: صحابي، أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء.

وأورد الحديث الهيثمي مختصرا في «مجمع الزوائد»، في كتاب: التفسير، باب: سورة يونس -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، برقم: (١١٠٦٨)، وقال: رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف.

وأورده في موضع آخر في «مجمع الزوائد»، كتاب: التعبير، باب: ما يدل على صدق الرؤيا، برقم: (١١٧٣٣) وقال: رواه أحمد من طريق ابن لهيعة، عن دراج، وحديثهما حسن، وفيهما ضعف، وبقية رجاله ثقات.اهـ

قلت: ابن لهيعة قد توبع بعمر بن الحارث الأنصاري كما ترى.

والحديث قد صححه العلامة أحمد شاكر في تحقيقه على «المسند»، برقم: (٧٠٤٤)، ط: دار الحديث، ومحققوا المسند، برقم: (٧٠٤٤) وقالوا: صحيح لغيره.

الحديث الثاني

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ قَوْلُ اللهِ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قَالَ:

«سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، أَوْ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي.

قَالَ: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ».

هذا حديث حسن لغيره:

رواه أحمد في «مسنده»، برقم: (٢٢٦٨٨)، والدارمي في «سننه»، في كتاب: الرؤيا، باب: في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤]، برقم: (٢١٨٢)، والترمذي في «سننه»، أبواب الرؤيا، باب: قوله:

﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، برقم: (٢٢٧٥)، وابن ماجه في «سننه»، كتاب: تعبير الرؤيا، باب: الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، برقم: (٣٨٩٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، فصل: في ذم كثرة النوم، برقم: (٤٤٢٢)، والحاكم في «مستدركه»، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة يونس، برقم: (٣٣٠٢)، وفي كتاب: التعبير، برقم: (٨١٧٩)، وبرقم: (٨١٨٠)، من حديث: عبادة، وابن جرير في «تفسيره»، برقم: (١٧٧٢١)، وبرقم: (١٧٧٣١)، وبرقم: (١٧٧٤٠)، والشاشي في «مسنده»، برقم: (١٢١٦)، وابن قانع في «معجم الصحابة»، برقم: (٦٨٩)، ط: الغرباء، وابن عدي في «الكامل»، برقم: (٥/ ٣٦١)، ط: الكتب العلمية، من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عبادة بن الصامت به.

وهو منقطع، أبو سلمة بن عبد الرحمن، لم يسمع من عبادة، ويدل على ذلك رواية ابن جرير في «تفسيره»، برقم: (١٧٧٢١)، والطيالسي في «مسنده»، برقم: (٥٨٤)، ط: هجر، والترمذي في «سننه»، في أبواب الرؤيا، باب: قوله: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، برقم: (٢٢٧٥)، والحاكم في «مستدركه»، في كتاب: التعبير، برقم: (٨١٧٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، في فصل: في ذم كثرة النوم، برقم: (٤٤٢٢)، من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، قال: نبئت أن عبادة سأل رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ - فذكره.

فدل على أن أبا سلمة لم يسمعه من عبادة، وقد نص على ذلك العراقي

في «تحفة التحصيل» (١٨٠)، ط: الرشد.

وله طريق أخرى، وفيها انقطاع، رواه أحمد في «مسنده»، برقم: (٢٢٧٦٧)، والشاشي في «مسنده»، برقم: (١٢١٧)، من طريق حميد بن عبد الله اليزني، أو المزني، عن عبادة به.

وهو منقطع أيضًا، لم يسمع من عبادة، وقد جاء في رواية عند الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة»، برقم: (٣٣٨) يرويه عن أبيه، عن عبادة، وأبوه لم أجد من وثقه غير ابن حبان في الثقات، برقم: (٢٢٢١).

وله طريق أخرى، وفيها تصريح أبي سلمه بسماعه من عبادة، رواه الجرجاني في «أماليه» (...)، وابن عساكر في «الأربعين البلدانية» (٩٧)، ط: مكتبة القرآن، من طريق يحيى بن أبي كثير، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: حدثني عبادة بن الصامت به.

ثم بين ابن عساكر أن الصواب روايته بقول أبي سلمة: نبئت عن عبادة.

والحديث بمجموع هذه الطرق وما قبله وما بعده يصح إن شاء الله.

وقد صححه عن عبادة بن الصامت العلامة الألباني في «صحيح الترمذي»، برقم: (٢٢٧٥)، وقال عقبه: صحيح.

والذهبي في «التلخيص»، برقم: (٣٣٠٢).

وقال الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة»، برقم: (٣٣٨): إسناده حسن.

وكذلك حسنه الصنعاني في «التحبير لإيضاح معاني التيسير» (٢/ ٢١٧)،

ط: الرشد.

الحديث الثالث:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله ليه وسلم: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ».

هذا حديث حسن لغيره.

رواه أحمد في «مسنده»، برقم: (٢٧٥١٠)، وبرقم: (٢٧٥٢١)، وبرقم: (٢٧٥٥٦)، وابن أبي شيبة في «مسنده»، برقم: (٢٦)، ط: الوطن، وابن أبي شيبة في «مصنفه»، في كتاب: الإيمان الرؤيا، ما قالوا في تعبير الرؤيا، برقم: (٣٠٤٥٤)، ط: الرشد، والترمذي في «سننه»، في أبواب الرؤيا، برقم: (٢٢٧٣)، وفي أبواب التفسير، باب: ومن سورة يونس، وبرقم: (٣١٠٦)، والحاكم في «مستدركه»، كتاب الرؤيا، برقم: (٨١٨٠)، وابن جرير في «تفسيره»، برقم: (١٧٧١٧)، وبرقم: (١٧٧٢٣)، وبرقم: (١٧٧٢٤)، وبرقم: (١٧٧٣٣)، وبرقم: (١٧٧٣٥)، وبرقم: (١٧٧٣٦)، وبرقم: (١٧٧٣٧)، وبرقم: (١٧٧٣٨)، وبرقم: (١٧٧٤١)، وبرقم: (١٧٧٤٢)، وبرقم: (١٧٧٤٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار»، باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله في الرؤيا: كم هي من جزء من الأجزاء التي هي النبوة؟ برقم: (٢١٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان»، في فصل: في ذم كثرة النوم، برقم: (٤٤٢٠)، والدارقطني في «العلل»، برقم: (١٠٨٠)، ط: طيبة،

والطيالسي في «مسنده»، برقم: (١٠٦٩)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٢٩٦)، ط: الكتب العلمية،، وعبد بن حميد في «مسنده»، برقم: (١١٠٣)، ط: بلنسية، وأورده الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف»، برقم: (٦٠٠)، ط: ابن خزيمة من طرق:

الطريق الأولى: من طريق سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وشعبة، وأبو معاوية الضرير، ووكيع، وشريك بن عبد الله النخعي، ستتهم، عن الأعمش، عن أبي صالح السمان، عن عطاء بن يسار، عن رجل من أهل مصر، عن أبي الدرداء به.

الطريق الثانية: يرويه ابن أبي عدي، عن شعبة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن رجل، عن أبي الدرداء به.

دون ذكر عطاء بن يسار.

الطريق الثالثة: يرويه جرير بن عبد الحميد، وسليمان التيمي، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي الدرداء به.

بإسقاط الرجل المبهم.

الطريق الرابعة: يرويه عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح، عن أبي الدرداء به.

فسوّى الإسناد وأعضله، وعاصم بن بهدلة، ويقال له: ابن أبي النجود، وإن كان حسن الحديث إلا أنه خالف الثقات الذين رووا الحديث عن عطاء، عن الرجل المبهم.

فمخالفته شاذة.

الطريق الخامسة: يرويه محمد بن المنكدر، عن عطاء، عن الرجل المبهم، عن أبي الدرداء به.

دون ذكر الأعمش.

الطريق السادسة: عند الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٩١)، وفيها تصريح بسماعه من أبي الدرداء فقال: عن عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ قَوْلِ اللهِ:... وفي هذه الطريق مهران بن أبي عمر العطار، قال البخاري: في حديثه اضطراب. وقال الذهبي: فيه لين.

الطريق السابعة: يرويه الكلبي، عن أبي صالح السمان، عن جابر بن عبد الله به.

فخالف الجميع في الإسناد، والصحابي، والكلبي هو محمد بن السائب، ضعيف، بل قد أُتهم بالكذب.

وقد أعله أبو حاتم في «العلل»، برقم: (١٧١٣، ط: الحميضي)، وقال: صوابه عن أبي الدرداء. فقال أبي: هو أبو صالح، عن أبي الدرداء.

الطريق الثامنة: يرويه محمد بن حاتم المؤدب، وجعفر بن عبد الله الأنصاري، قالا: حدثنا عمار ابن محمد، قال: حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة به.

وقد أعله بهذا الإسناد الدارقطني في «العلل»، برقم: (١٩٧٨)، ورجح أن الحديث صوابه عن الأعمش، عن أبي صالح، عن عطاء بن يسار، عن

رجل من أهل مصر، عن أبي الدرداء به.

فالخلاصة: أن الحديث ورد من طرق عدة، أصحها عن الأعمش، عن أبي صالح السمان، عن عطاء بن يسار، عن رجل من أهل مصر، عن أبي الدرداء به.

وهذا الراوي المبهم لا يدرى من هو.

وقد سئل أبو حاتم كما في «علله»، برقم: (١٧٦٠): عن الرجل المبهم الذي في الإسناد، فقال: لا يعرف.

وقال الحافظ ابن حجر في «إتحاف المهرة»، برقم: (٦٠٢٣):

هذا إسناد ضعيف؛ لجهالة التابعي، لكن أصله في صحيح مسلم.

وأورده الحرفي في «فوائد أبي القاسم الحرفي رواية الثقفي»، برقم: (١٠، ط: الأثرية)، وقال: هذا حديث محفوظ بهذا الإسناد، من حديث أبي صالح ذكوان، وهو لم يسمع من أبي الدرداء شيئًا، وهو مرسل.

وقد صحح حديث أبي الدرداء العلامة الألباني في «صحيح الترمذي»، برقم: (٢٢٧٢).

وله شاهد: جاء عن نافع بن جبير، عن رجل من أصحاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤]، قال:

«هِيَ الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ يَرَاهَا الإِنْسَانُ أَوْ تُرَى لَهُ».

ورواه ابن جرير في «تفسيره»، برقم: (١٧٧٤٢)، وفيه سنيد بن داود

المصيصي، قال الحافظ في «التقريب»: ضعيف مع إمامته ومعرفته؛ لكونه كان يلقن حجاج بن محمد شيخه.

قلت: هو صالح في الشواهد والمتابعات، ولا يضر إبهام الصحابي، فإن نافع بن جبير قد سمع جمعا من الصحابة.

ومن شواهده: ما جاء عند ابن جرير في «تفسيره»، برقم: (١٧٧٥٠) قال: حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن قيس بن سعد، أن رجلا سأل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- عنها، فقال:

«مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي مُنْذُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ قَبْلَكَ ! قَالَ: هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ أَوْ تُرَى لَهُ».

منقطع.

فقيس هو ابن سعد المكي، ثقة، غير أنه لم يدرك الصحابة، كما في «تحفة التحصيل» (٢٦٨).

وقد فسر الآية بأن المقصود بها الرؤيا الصالحة جمع، منهم: ابن عباس، وعروة بن الزبير، ومجاهد، كما في «مصنف ابن أبي شيبة»، في كتاب: الإيمان والرؤيا، ما قالوا في تعبير الرؤيا، (٦/ ١٧٤)، برقم: (٣٠٤٦٤)، وبرقم: (٣٠٤٦٢)، وبرقم: (٣٠٤٦٣)، والزهري كما في «تهذيب الآثار» للطبري، برقم: (٩٠٥)، ط: المدني، ذكر من قال ذلك، حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، وقتادة: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤]، قَالَ: «هِيَ الْبِشَارَةُ

عِنْدَ الْمَوْتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»، وعطاء ابن أبي رباح، برقم: (١٧٧٥٣)، وجاء عن يحيى بن أبي كثير، برقم: (١٧٧٤٥)، وعن إبراهيم النخعي، كما في «تفسير ابن جرير»، برقم: (١٧٧٤٩).

والحاصل والخلاصة: أن الحديث حسن، أو صحيح بشواهده

قال ابن عبد البر في «التمهيد»، (٥/ ٥٩)، عقب حديث أبي الدرداء-: هذا حديث حسن في التفسير المرفوع صحيح من نقل أهل المدينة، وقد رواه الأعمش، عن أبي صالح، عن عطاء بن يسار، عن رجل، من أهل مصر، قال: سألت أبا الدرداء، فذكره سواء، هكذا رواه أبو معاوية، وعلي بن مسهر، ووكيع بن الجراح، عن الأعمش، وروي من حديث جابر بن عبد الله، وعبادة بن الصامت، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاصي، وطلحة بن عبيد الله، عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- نحو حديث أبي الدرداء، هذا سواء بمعناه، وعلى ذلك أكثر أهل التفسير في معنى هذه الآية، وهو أولى ما اعتقده العالم في تأويل قول الله عز وجل: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤]، وروي عن الحسن، والزهري، وقتادة أنها البشارة عند الموت، ولا خلاف بينهم أن قوله: ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾: الجنة.

قلت: إليك بيان من قال بأن المقصود بالبشرى المذكورة في هذه الآية ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أنه سبحانه يبشر المؤمن عند الموت.

قال ابن كثير في «تفسيره» ت سلامة (٤/ ٢٨١):

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ بُشْرَى الْمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِالْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة فصلت: ٣٠-٣٢].

وَفِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، جَاءَهُ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ، بِيضُ الثِّيَابِ، فَقَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ إِلَى رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ. فَتَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ، كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فَمِ السِّقَاءِ». اهـ.

قلت: الحديث رواه أحمد في «مسنده» ط الرسالة (٣٠/ ٤٩٩) وأبو داود (٤٧٥٣)، والطبري في «التفسير» (٢٠٧٦٤) وغيرهم من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو حديث صحيح مشهور وصححه العلامة الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/ ٥١٢) وفي «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/ ٣٤٤) وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٩٨) والشيخ مقبل في «الصحيح المسند» (١/ ٦٦) وشيخنا يحيى في «شرح الأربعين النووية» (١/ ٣٥) ذكره ضمن الشرح.

ومن قال بهذا القول الزهري وقتادة وأن الآية المقصود بها عند الموت يبشر المؤمن روى ذلك عنهم الطبري في «تهذيب الآثار» (٩٠٥) فقال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى الصَّـنْعَانِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ وَقَتَادَةَ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قال: هِيَ الْبِشَارَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»

إسناده صحيح.

قلت: والخلاصة عندي - والعلم عند الله - أنه لا تعارض بين من فسّر قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بأنها الرؤيا الصالحة، وبين من قال: إنها البشارة للمؤمن عند موته بما يراه من نعيمٍ وكرامةٍ واستبشارٍ بفضل الله عليه، فالجمع بين القولين ممكن بل هو الأليق بمعنى الآية وسَعة ألفاظ القرآن.

فهي آية عامة شاملة، تتناول كلَّ ما يُبشَّر به المؤمن في دنياه من سرورٍ ولطفٍ وطمأنينةٍ، سواء أكان ذلك بالرؤيا الصالحة، أو بما يراه عند الاحتضار من الملائكة الذين يبشرونه برضوان الله وجناته، كما تشمل أيضًا ما يجده في عمره من توفيقٍ ورضًا وسعادةٍ قلبيّة هي في حقيقتها من عاجل بشرى الله له.

غير أن حملها على الرؤيا الصالحة أرجح وأقوى عند الترجيح، لما ورد من الأدلة الصحيحة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في تفسيرها بذلك، ولأن السلف الصالح رحمهم الله قد فسروا البشرى في الدنيا بأنها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له، فهي أولى ما يدخل تحت عموم الآية، وأقربها إلى مراد الله تعالى في هذا السياق.

وإليك بيان أقوالهم في ذلك:

روى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢/ ١٤٧) فقال:

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ طَلْحَةَ الْقَنَّادِ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قَالَ: «هِيَ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ لِنَفْسِهِ أَوْ لِأَخِيهِ».

وفيه طلحة القناد، أبو حماد الكوفي، لم يوثقه سوى ابن حبان.

وله طريق أخرى عند ابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ١٠٨) قال:

ثَنَا عَبْدُ اللهِ، قَالَ: ثَنِي مُعَاوِيَةُ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، فَهُوَ قَوْلُهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾، قَالَ: «هِيَ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ».

وعبد الله بن صالح الجهني قال الحافظ في «التقريب»: صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة، وأحاديثه صالحة عند البخاري. اهـ

قلت: هو في الشواهد والمتابعات، ومعاوية بن صالح الحضرمي فيه ضعف، وهو صالح في الشواهد والمتابعات، فهاتان الطريقان معًا تصحان إن شاء الله.

وروى مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٦) عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾، قال: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ».

إسناده صحيح.

هذا الذي وقفتُ عليه من الآثار في هذه الآية، وقد فسّرها غير واحدٍ من السلف بهذا التفسير.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» ت سلامة (٤/ ٢٨١):

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَيَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِي، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ: أَنَّهُمْ فَسَّرُوا ذَلِكَ بِالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ. اهـ

ذكر ما لا يثبت في هذا الباب من الأحاديث والآثار:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ، وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ».

رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ١٠٩) وغيره، وفيه اضطراب.

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رِئَابٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال في هذه الآية: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قال: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْعَبْدُ أَوْ تُرَى لَهُ».

رواه عبد بن حميد في «مسنده» (١١٠٥) وغيره، وفيه علتان:

١- حماد بن السائب الكلبي متروك، وقد اتُّهِم بالكذب.

٢- أبو صالح الكوفي واسمه باذام، ضعيف كما في «التقريب».

وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢/ ١٤٧) قال:

حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾،

قَالَ: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ».

وفيه ليث بن أبي سليم ضعيف الحديث.

وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢/ ١٤٨) قال:

حَدَّثَنَا يَعْلَى بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي بِسطَام، عَنِ الضَّحَّاكِ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قَالَ: «يَعْلَمُ أَيْنَ هُوَ قَبْلَ الْمَوْتِ».

وفيه بسطام بن النضر الكوفي، وكنيته أبو بسطام، ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»، والبخاري في «تاريخ»ه، ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً.

وروى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠٩) قال:

ثَنَا إِسْحَاقُ، قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: ثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَطَاءٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾، قَالَ: «هِيَ رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ يُبَشَّرُ بِهَا فِي حَيَاتِهِ».

وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف كما هو معلوم.

المبحث الثاني: الفوائد المستنبطة من الآية

وقد اشتملت هذه الآيات الكريمة على فوائد جليلة، منها:

الأولى: أن الولاية الحقيقية لله بالإيمان والتقوى لا بالانتساب أو الزعم.

الثانية: أن أولياء الله آمنون في الدنيا والآخرة من الخوف والحزن.

الثالثة: أن البشرى تشمل الرؤيا الصالحة وغيرها من دلائل رضا الله.

الرابعة: أن الرؤيا الصالحة من بقايا النبوة وكرامة للمؤمن.

الخامسة: أن الرؤيا لا تشرّع حكمًا ولكنها تبشّر بخير.

السادسة: أن الله يكرم عباده بإشارات روحية تقوّي الإيمان.

السابعة: أن طهارة القلب سبب في صدق الرؤيا وصفائها.

الثامنة: أن الرؤيا الصالحة دليل على حياة القلب بالإيمان.

التاسعة: أن البشارة في المنام دليل على محبة الله لعبده.

العاشرة: أن الرؤيا الصالحة قد تكون تثبيتًا عند الشدائد.

الحادية عشرة: أن ولاية الله تُنال بالطاعة لا بالدعاوى.

الثانية عشرة: أن من علامات الولاية دوام الصدق والتقوى.

الثالثة عشرة: أن البشرى في الدنيا لا تنافي الابتلاء، بل ترافقه.

الرابعة عشرة: أن الرؤيا الصادقة من رحمة الله بعباده المؤمنين.

الخامسة عشرة: أن المؤمن إذا رأى في منامه ما يسرّه فهي بشارة.

السادسة عشرة: أن الرؤيا الصالحة لا تكون إلا للمؤمن أو تُرى له.

السابعة عشرة: أن الأمن الروحي ثمرة القرب من الله.

الثامنة عشرة: أن الوعد بالبشرى يشمل الرجال والنساء من أولياء الله.

التاسعة عشرة: أن الرؤيا الصالحة لا تنقطع من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

العشرون: أن اجتماع البشرى في الدنيا والآخرة من كمال فضل الله على عباده.

المبحث الثالث: إعراب الآية

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة يونس:٦٢-٦٤].

«**أَلا**» حرف استفتاح

«**إِنَّ أَوْلِياءَ**» إن مع اسمها

«**اللهِ**» لفظ الجلال مضاف إليه

«**لا**» نافية

«**خَوْفٌ**» مبتدأ

«**عَلَيْهِمْ**» متعلقان بالخبر المحذوف والجملة خبر إن

«**وَلا**» الواو عاطفة

«**هُمْ**» مبتدأ والجملة معطوفة

«**يَحْزَنُونَ**» مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعله والجملة خبرهم

«**الَّذِينَ**» اسم موصول خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم

«**آمَنُوا**» ماض وفاعله والجملة صلة

«**وَكانُوا**» الواو عاطفة وكان واسمها والجملة معطوفة

«**يَتَّقُونَ**» مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة خبر كانوا

«**لَهُمُ**» متعلقان بخبر مقدم محذوف

«البشرى» مبتدأ مؤخر والجملة ابتدائية

«في الحياة» متعلقان بالبشرى

«الدنيا» صفة مجرورة بالكسرة المقدرة على الألف للتعذرَ

«في الآخرة» معطوفة على ما تقدم

«لا» نافية للجنس تعمل عمل إنَّ

«تبديل» اسم لا المنصوبِ

«لكلمات» متعلقان بالخبر المحذوف

«الله» لفظ الجلالة مضاف إليه

«ذلك» اسم إشارة مبتدأ واللام للبعد والكاف للخطاب والجملة مستأنفةُ

«هو» مبتدأ

«الفوز» خبره

«العظيم» صفة الفوز. (١)

(١) انظر «إعراب القرآن الكريم» ـ لدعاس (٢/ ٣٣).

الفصل الثالث رؤيا نبي الله يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ (١)

المبحث الأول: تفسير الآية

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤].

يوسفُ بنُ نبيِّ الله يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ - عليهم جميعًا الصلاة والسلام - نبيٌّ كريمٌ من ذرية الأنبياء (٢)، يقصّ الله سبحانه وتعالى خبره على نبيه محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وما جرى له من أمر رؤياه التي

---

(١) وقد أفردتُ رؤيا يوسف - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، ورؤيا الملك، ورؤيا صاحبي السجن بمؤلَّفٍ مستقلٍّ توسَّعتُ فيه في ذكر فوائدهما وقواعد التأويل المستنبطة منهما، وهو بعنوان: «الروضُ الأنفُ في فوائدِ الرؤى والتأويلِ من سورةِ يوسف»، وقد طُبِع عن دار الإمام الشافعي، وفيه بسطٌ للمباحث، واستيعاب لطرائق التعبير، وتحقيق لمسائل العلم المتعلقة بالرؤى وما يتعلّق بها.

(٢) في البخاري (٣٣٩٠) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَام».

كانت مبدأ قصته العجيبة، إذ رأى في منامه رؤيا صادقةً فأخبر بها أباه يعقوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- (١).

فأرشده أبوه - شفقةً عليه ومحبةً له - إلى حسن التعامل مع هذه الرؤيا، إذ علم بتعبيره لها أنها تدل على رفعةٍ عظيمةٍ ومنزلةٍ ساميةٍ سيؤول إليها أمره في مستقبله، ونبّهه ألا يقصّها على إخوته خشيةَ أن يدبَّ في صدورهم الحسد، فيحملهم الشيطان على الكيد له والبغي عليه.

ثم بشّره وأثنى عليه بأن الله قد اصطفاه واختصه بعظيم فضله، وأكرمه بعلمٍ جليلٍ هو علمُ تأويل الأحاديث - أي علمُ تعبير الرؤى وتفسيرها - وهو علمٌ شريفٌ يُطلع الله به من يشاء من عباده على بواطن الحِكَم وخفايا المقادير وما يُستقبل من الحوادث.

وهكذا تتابعت الكرامات الإلهية على يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حتى أظهر الله له تأويل تلك الرؤيا بعد سنين طويلة، فرفعه مكانًا عليًّا، ومكّنه في الأرض، وجعل له قبولًا ومهابةً في القلوب، وجرى له من حسن الثناء

---

(١) للآية ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يوسف:٦٨] ويعقوب والد نبي الله يوسف هو أيضا نبي صلى الله عليهما وسلم كما جاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ»، فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابْنُ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللهِ ابْنِ خَلِيلِ اللهِ»، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا» رواه البخاري (٣٣٥٣) ومسلم (٢٣٨٠).

وجميل الذكر ما صدّق رؤياه الأولى، فكانت الرؤيا بدايةَ النعمة، وتأويلُها تمامَها وكمالَها.

فأخبر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن الرؤيا العظيمة التي كانت مبدأ قصة يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، والتي جرت بها مقادير الله العجيبة، فكانت سببًا في تمكين يوسف ورفعته، وابتلائه ثم نجاته، إذ كانت رؤيا صادقة من وحي الله إلى نبيه في صغره، رأى فيها أحد عشر كوكبًا ومعهم الشمس والقمر يسجدون له، فكانت رمزًا لما سيؤول إليه أمره من رفعةٍ وسلطانٍ وشرفٍ بين إخوته وأبويه.

وكانت هذه الرؤيا إيذانًا ببدء رحلة الابتلاء التي ختمها الله بالتمكين، وجعلها مثالًا على أن الرؤيا الصادقة وحيٌ للأنبياء، وأنها تكون بشرى صادقة من الله لعباده.

الخلاصة:

إن رؤيا يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- كانت من أعظم الرؤى النبوية التي جرت بها سنن الله في عباده، فكانت وحيًا صادقًا في صغره دلّ على نبوته وعلو شأنه، ثم تحققت بعد سنين طويلة حين اجتمع بإخوته وأبويه في مصر، فسجدوا له سجودَ تعظيمٍ لا عبادة، كما قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وفيها إشارة إلى أن الرؤيا الصالحة قد تتأخر سنين حتى تتحقق، وأن الله يُجريها لعباده لحكمةٍ وتدبيرٍ يعلمها وحده، وأنها من المبشرات التي تفتح

أبواب الأمل في قلوب المؤمنين.

المبحث الثاني: رموز رؤيا يوسف - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - وتأويلها في ضوء أحداث القصة

تُعدّ رؤيا يوسف - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - من أعجب ما ورد في القرآن من الرؤى، إذ اجتمع فيها الوحيُ والرمزُ والتأويلُ والوقوعُ الحقيقي بعد زمنٍ طويل.

فهي الرؤيا الوحيدة في القرآن التي ابتدأت بها القصة وخُتمت بتحقيقها الواقعي الكامل، لتكون مَثَلًا باهرًا على أن الرؤيا الصادقة من الله، وأنها قد تحمل من الإشارات الغيبية ما لا يدركه إلا من آتاه الله علم التأويل.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤].

أولًا: رمزية الكواكب

«الكواكب» في الرؤى تُعبّر عن الإخوة أو القرابة أو الأعوان، لأنهم يدورون حول الأصل كما تدور الكواكب حول القمر والشمس.

وهي أيضًا دلالة على الأتباع والأنصار، إذ يتلألأ كلٌّ منهم بقدر قربه من النور الأعظم.

وقد عبّر يعقوب - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - الكواكب بإخوة يوسف الأحد عشر، لما رأى من التناسب في العدد، ولأنهم كانوا حوله مجتمعين، فناسبت الصورة المنامية حقيقة الحال.

وقياسًا على ذلك: «من رأى كواكب تسجد له، أو تضيء حوله»، نال رفعةً بين أهله أو قومه أو تلاميذه، و«إن رآها تظلم أو تتساقط»، دلّ على

ضعف حال قرابته أو زوال جاهٍ بينهم.

ثانيًا: رمزية الشمس

«الشمس» في الرؤيا ترمز إلى الأب أو السلطان أو صاحب الجاه، لأنها مصدر النور والهيبة، وبها قِوام النهار، كما أن الأب قِوام البيت والعائلة.

وقد فُسّرت في رؤيا يوسف بأبيه يعقوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، لما فيها من الشبه في العلو والقيادة والرعاية.

وقياسًا على ذلك: «من رأى الشمس تشرق عليه»، نال نورًا ورفعةً وسعادةً بقدر ضيائها، و«من رآها تغيب أو تُحجب»، نقص جاهه أو فُقد أحد والديه أو رؤسائه، و«من رآها تسجد له»، دلّ على خضوع صاحب سلطان له بقدر تأويل الرؤيا وسياقها.

ثالثًا: رمزية القمر

«القمر» في المنام يُعبّر بالأم غالبًا، لأنه أنيس الليل ورمز الحنان والسكينة، وهو يأخذ نوره من الشمس كما يأخذ الولد نور حياته من أمه.

وقد عبّره يعقوب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بأم يوسف عليهما السلام، فكانت الرؤيا مشتملة على والديه مع إخوته جميعًا.

وقياسًا على ذلك: «من رأى القمر بدرا مضيئًا»، نال سرورًا وطمأنينةً من أمه أو زوجته، و«من رآه منكسفًا أو محجوبًا»، دلّ على حزنٍ أو فراقٍ أو مرضٍ فيمن يقوم مقام الأم في حياته.

رابعًا: رمزية السجود

«السجود» في المنام تعظيمٌ وتكريم، لا عبادةٌ بالمعنى الشرعي.

وهو دالٌّ على الخضوع والميل والتقدير، كما قال تعالى عن رؤيا يوسف: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤﴾، أي خاضعين له بالاحترام والمحبة بعد تمكينه ورفعته.

وقياسًا على ذلك: «من رأى من يسجد له»، نال منزلةً رفيعةً، أو اعترافًا بفضله، أو اجتماعًا للكلمة بعد فرقة، بشرط أن لا يُفهم منه معنىً باطلٌ في الدين.

خامسًا: رمزية العدد

«العدد» في الرؤيا له دلالة رمزية بديعة، وقد جاء هنا قوله تعالى: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾، فوافق عدد إخوة يوسف، فكان العدد قرينةً على المراد.

ومن لطائف علم التعبير أن العدد يُعتبر من القرائن المكمّلة للمعنى، ولا يُفصل عن سياق الرؤيا.

فـ«من رأى عددًا له علاقة بأهله أو عمله أو طلابه»، حمل على ما يناسب حاله، ولا يُفهم العدد على ظاهره دائمًا، بل بالقرائن المحيطة.

سادسًا: رمزية النور

«النور» في المنام علمٌ وهدى ورفعة، وهو ملازم للكواكب والشمس والقمر جميعًا، وقد اجتمعت في رؤيا يوسف إشارات الأنوار الثلاثة،

فكانت بشارةً باجتبائه وعلو مقامه.

وقياسًا على ذلك: «من رأى الأنوار تشرق عليه أو تلتف حوله»، نال علمًا أو هدايةً أو ذكرا حسنًا بين الناس، و«من رأى انطفاءها»، خشي عليه من الغفلة أو ذهاب العلم أو فقد الرفعة.

سابعًا: رمزية النجوم وقياسها في الهداية

«**النجوم**» في الرؤيا آياتُ هدى، ودلالاتُ توجيه، ترشد التائه وتضيء سبيل السالك، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل: ١٦].

وقد جعلها الله زينةَ السماء، ورموزَ الاهتداء في الظلمة، فهي في المنام دليلٌ على العلماء والفضلاء والمرشدين، الذين يُستضاء بعلمهم كما يُستضاء بالنجوم في الليل.

وفي رؤيا يوسف كانت الكواكب تمثل إخوته، لكن فيها أيضًا إشارةٌ إلى الهداية العامة التي أكرمه الله بها، إذ جعله نجمًا لبيته وأمته، يهتدون بنوره في دينهم ومعاشهم.

وقياسًا على ذلك: «من رأى النجوم لامعةً ثابتةً في السماء»، دلّ ذلك على الثبات على الهدى، و«من رآها متساقطةً أو منطفئةً»، خيف عليه من الفتنة أو انطماس البصيرة. و«من رآها تدنو منه أو تدخل بيته»، نال علمًا أو ولدًا صالحًا أو مكانةً رفيعة.

فالنجوم في الرؤى تقاس على معاني الهداية والعلم والنور، و«من رآها

يهتدي بها أو ينظر إليها في طمأنينة»، فقد رُزق بصيرةً في دينه.

القياس في رموز رؤيا يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-

إن تأويل يعقوب -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لهذه الرموز قام على أصلٍ من أصول علم التعبير، وهو القياس بين الرمز والمعنى.

فـ«الشمس» تُقاس بالأب لجلالها، و«القمر» بالأم لحنانها، و«الكواكب» بالإخوة لتشابههم في العدد، و«السجود» بالخضوع والمحبة، و«النور» بالعلم والتمكين.

فلم يكن التعبير حدسًا مجرّدًا، بل فقهًا مستنبطًا من وجه الشبه بين الصورة المنامية والحقيقة المعنوية، على وفق الشرع والعقل والعادة.

وهكذا سار يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- من بعده في تأويل رؤى غيره، يجمع بين العلم والفراسة والإلهام، فصار علم التأويل عنده قائمًا على القياس الصحيح لا على الظنّ، كما قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

والخلاصة:

إن رؤيا يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- تمثّل مدرسة في الإيمان والتدبير الإلهي؛ فهي بشارة نبوّةٍ، ومبدأ رحلةٍ طويلةٍ من البلاء والتمكين، تُظهر أن الله يُقدّر المقادير بحكمة، ويبدأ لعباده الصالحين ببشاراتٍ لطيفةٍ تمهّد لما سيؤول إليه أمرهم.

فمن رؤيا غلامٍ صغيرٍ إلى عرش مصر العظيم، تجلّى صدق الوعد

الإلهي بأن من حفظ الله في سـرّه رفعه في علانيته، وأن الرؤيا الصـادقة قد تكون أول خطوةٍ في طريق النور والهداية.

وفي هذا المبحث يظهر أن الرؤيا كانت مفتاح القصـة، وبشـارة النبوة، ودليل العناية الربانية التي ترافق عباد الله المخلصـين في نومهم ويقظتهم حتى يبلغوا منازل الرضا والتمكين.

المبحث الثالث: الفوائد المستنبطة

اشتملت هذه الآية على فوائد كثيرة من لطائف العلم والدلالة، منها:

الفائدة الأولى: دلالـة الآيـة على أن نبيّ الله يعقوب -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- كـان مفسّرًا للرؤيا

الفائدة الثانية: أن التعبير علم واجتهاد لا وحي ولا كهانة.

الفائدة الثالثة: أن الرؤيا المنامية ليسـت على حقيقتها بل هي رموز لمعاني أخرى.

الفائدة الرابعة: أن قِصَر الرؤيا لا يمنع قوتها ووضوح معناها.

الفائدة الخامسة: أن الرؤيا المرتبة في سياقها أدعى لصحة التأويل.

الفائدة السادسة: أن بعض الرؤى القوية لا تحتاج إلى استفصال.

الفائدة السـابعة: أن رؤيا الأنبياء وحيٌ وحقٌّ لا يحتمل الخطأ بخلاف غيرهم

الفائدة الثامنة: أن الرؤيا الصادقة قد تكون بشارة عظيمة لمستقبل بعيد

الفائدة التاسعة: أن الرؤيا تُربي في القلب الإيمان بوعد الله

الفائدة العاشرة: أن الرؤيا قد تكون سببًا في الرفعة والتمكين

الفائدة الحادية عشرة: أن من فضل الله أن يجعل الرؤيا من مقدمات النبوة

الفائدة الثانية عشرة: أن الرؤيا الصادقة من الله وهي بشرى للمؤمنين

الفائدة الثالثة عشرة: أن الرؤيا قد تورث الفرح أو الحزن بحسب مضمونها

الفائدة الرابعة عشرة: الحكمة من كتمان الرؤيا عمن يُخشى حسده

الفائدة الخامسة عشرة: أن الرؤيا قد تنبئ عن مجدٍ مستقبلي للرائي

الفائدة السادسة عشرة: أن المفسر الحاذق يربط الرموز بالمعاني الواقعية

الفائدة السابعة عشرة: أن التعبير يُستدل فيه بالأعداد والأسماء والهيئات

الفائدة الثامنة عشرة: أن الرؤيا الصادقة لا تتناقض مع سنن الله في الأسباب

الفائدة التاسعة عشرة: أن التأويل قد لا يُفهم إلا بعد وقوعه

الفائدة العشرون: أن الرؤيا الصالحة من وسائل التربية الإيمانية

الفائدة الحادية والعشرون: في صفات المعبّر وآداب التعبير

الفائدة الثانية والعشرون: تحرّي الرائي لمن يعبّر له

الفائدة الثالثة والعشرون: أن الرؤيا قد تكون سببًا لتعليم المعبّر

الفائدة الرابعة والعشرون: فضل علم التعبير ومكانته

الفائدة الخامسة والعشرون: أدب الرائي مع المعبّر في الاكتفاء بالتعبير

الفائدة السادسة والعشرون: النهي عن التحدث بالرؤيا لمن لا يُحسن

الفائدة السابعة والعشرون: أن الرؤيا قد تكون سببًا للفتنة إن أسيء التعامل معها

الفائدة الثامنة والعشرون: أن المفسّر لا يتعجل في كشف العدو أو تعيينه

الفائدة التاسعة والعشرون: أن المفسّر قد يُلهمه الله التأويل بلا تكلّف

الفائدة الثلاثون: أن علم التعبير يختصّ الله به من يشاء

الفائدة الحادية والثلاثون: ارتباط علم التعبير بالتقوى وصلاح القلب

الفائدة الثانية والثلاثون: أن علم الرؤيا يُكتسب بالتعلم والممارسة

الفائدة الثالثة والثلاثون: وجوب تزكية المعبّر لنفسه

الفائدة الرابعة والثلاثون: نسبة الفضل في التعبير إلى الله لا للنفس

الفائدة الخامسة والثلاثون: صفاء القلب شرط لصفاء التعبير

الفائدة السادسة والثلاثون: خطأ المعبّر لا يبطل علمه ولا يسقط عدالته

الفائدة السابعة والثلاثون: علم التعبير لا يؤخذ إلا عن أهل الصدق

الفائدة الثامنة والثلاثون: علم التعبير نعمة ومسؤولية ومن لم يشكرها يعاقب بحرمانها

الفائدة التاسعة والثلاثون: أن تعبير الرؤيا مبني على غلبة الظن

المبحث الرابع: إعراب الآية

قال الله تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف: ٤].

«إِذْ» ظرف زمان يتضمن معنى الشرط متعلق بفعل محذوف تقديره

اذكر

«قالَ يُوسُفُ» ماض وفاعله والجملة مضاف إليه

«لِأَبِيهِ» اللام حرف جر وأبيه اسم مجرور بالياء لأنه من الأسماء الخمسة متعلق بقال

«يا» أداة نداء

«أَبَتِ» منادى منصوب لأنه مضاف لياء المتكلم المحذوفة وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها مناسبة الحرف المحذوف وقد عوض عن الياء المحذوفة بالتاء والجملة مقول القول

«إِنِّي» إن واسمها والجملة مقول القول

«رَأَيْتُ» ماض وفاعله والجملة خبر

«أَحَدَ عَشَرَ» كلمتان مبنيتان على فتح الجزأين في محل نصب مفعول به

«كَوْكَبًا» تمييز

«وَالشَّمْسَ» معطوف على أحد عشر

«وَالْقَمَرَ» معطوف على ما قبله

«رَأَيْتُهُمْ» ماض وفاعله ومفعوله والجملة مستأنفة

«لِي» متعلقان بساجدين

«ساجِدِينَ» مفعول به ثان لرأيتهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ

ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ [سورة يوسف:٥-٦].

«قالَ» ماض وفاعله مستتر والجملة مستأنفة

«يا» أداة نداء

«بُنَيَّ» منادى مضاف منصوب بالفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم والياء مضاف إليه والجملة مقول القول

«لا تَقْصُصْ» لا ناهية ومضارع مجزوم وفاعله مستتر والجملة مقول القول

«رُؤْياكَ» مفعول به منصوب بالفتحة المقدرة على الألف للتعذر والكاف مضاف إليه

«عَلى إِخْوَتِكَ» متعلقان بتقصص والكاف مضاف إليه

«فَيَكِيدُوا» الفاء فاء السببية ومضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية والواو فاعل

«لَكَ» متعلقان بيكيدوا

«كَيْداً» مفعول مطلق

«إِنَّ الشَّيْطانَ» إن واسمها والجملة تعليل لا محل لها

«لِلْإِنْسانِ» متعلقان بعدو

«عَدُوٌّ» خبر

«مُبِينٌ»(١)

(١) انظر «إعراب القرآن للدعاس» (٢/ ٧٨).

الفصل الرابع رؤيا السجينين وقول الله ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ﴾

المبحث الأول تفسير الآيات

تُعدّ رؤيا صاحبي السجن من أروع المشاهد القرآنية التي جمعت بين الابتلاء والدعوة والتأويل النبويّ، فقد كانت هذه الرؤيا سببًا في إظهار علم يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، ووسيلة لبيان صدقه وإحسانه حتى في موطن القيود.

فبينما حُبس يوسف ظلمًا، شاء الله أن يجعل السجن منبرًا للبيان والدعوة، وأن تكون الرؤيا طريقًا لخروجه وتمكينه، ليتجلّى في ذلك لطف الله الذي يجعل من البلاء بابًا إلى الرفعة.

يذكر الله تعالى أن يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لما دخل السجن وجد فيه فتيين، رأى أحدهما أنه يعصر خمرًا، ورأى الآخر أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه، فطلبا منه تفسير رؤياهما لما رأيا من صلاحه وإحسانه.

فاستغل يوسف الموقف ليدعوهم إلى التوحيد قبل تأويل الرؤيا، فقال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩].

ثم أوّل لهما رؤياهما فقال: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾ [يوسف: ٤١].

فكان الأول هو الساقي الذي نجا، والآخر هو الخبّاز الذي أُهلك، وتحققت الرؤيا كما أوّلها يوسف -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- بعد ذلك بزمان، فكانت هذه الحادثة تمهيدًا لخروجه من السجن ورفعه إلى مقام الوزارة.

الخلاصة

تُظهر رؤيا صاحبي السجن أن الرؤيا الصادقة ليست مجرد منامٍ عابرٍ، بل قد تكون وسيلة لقدرٍ عظيمٍ، فقد جعلها الله بابًا لإظهار صدق يوسف -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ-، ومقدمةً لخروجه من السجن وبلوغه ملك مصر.

وفيها درس بليغ في أن الإحسان يرفع صاحبه ولو كان في قيدٍ أو ظُلمٍ، وأن المؤمن الصادق يجعل من كل محنة منبرًا للدعوة.

لقد كانت هذه الرؤيا نقطة تحوّل في حياة يوسف -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ-، ومرآةً تُجسّد كيف يُخرِج الله من رحم البلاء أزكى العطاء، ومن السجن إلى العرش طريقٌ ممهَّدٌ برؤيا صادقةٍ وتأويلٍ حكيمٍ.

فسبحان من جعل الرؤيا وحيًا، وجعل الصالحين مفاتيح لفهم الغيب بما فتح الله عليهم من نور الهداية.

المبحث الثاني: رموز رؤيا السجينين وتعبيرها على منهج القياس والتأويل الصحيح

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ

﴿وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ [يوسف: ٣٦].

أولا: رمزية العصر والخمر

«العصر» في المنام يُعبّر عن استخراج المنافع من المكاره، والانتفاع بالجهد والعمل، كما تُستخرج الخمر من العنب بعد عصره.

وأما «الخمر» نفسها فهي في الرؤيا رمزٌ للجاه والمنزلة والفرح والنعمة إذا جاءت في سياقٍ محمود، لأنها كانت شراب الملوك وأهل الرفعة في الأمم السابقة، وقد جاء في رؤيا الساقي أنها دلت على عودته إلى عمله في خدمة الملك وسقيه له بيده.

ولهذا قال يوسف -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ-: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾.

فكانت «الخمر» دلالةً على الولاية والكرامة والعودة إلى الخدمة بعد السجن.

لكن يجب التنبيه إلى أن الخمر في أصلها من رموز الفساد والشرور والمعاصي، لأنها تُغَيِّب العقل الذي هو مناط التكليف، وتفتح أبواب السوء والجرائم، وقد جاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«الْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ فَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ مَاتَ وَهِيَ فِي بَطْنِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (١)

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٨١٠) وحسنه الإمام الألباني في «سلسلة الأحاديث

فإذا وردت في المنام على وجه الشـرب أو اللهو أو التلذذ بها، كانت تأويلًا سـيئًا يدل على المعاصـي، وارتكاب الفواحش، وضـياع العقل والدين.

وأما إذا وردت في سياقٍ محمودٍ كالذي في رؤيا الساقي، فالعبرة بالمعنى الذي دلت عليه لا بذاتها، إذ كانت إشارة إلى الخدمة والولاية لا إلى شربها أو استحلالها.

وقياسًـا على ذلك: «من رأى أنه يعصـر خمرًا أو عنبًا»، وكان في همٍّ أو بلاء، فرّج الله عنه، و«إن كان موظفًا أو خادمًا» عاد إلى عمله أو ارتقى فيه، ما لم يكن في رؤياه ما يدل على الفساد أو اللهو، فإنها حينئذٍ تؤول على وجه الذمّ والضلال، لأن الخمر محرّمة في شريعة الإسلام، وما حُرِّم في اليقظة لا يُمدَح في المنام إلا من جهة رمزيته في الخير دون ذاته.

ثانيًا: رمزية الخبز

«الخبز» في الرؤيا رزقٌ ومعاشٌ، لأنه قوام البدن، ويُعبَّر بما يغتذي به الإنسان من مالٍ أو علمٍ أو عملٍ.

و«من حمله فوق رأسـه»، دلّ ذلك على تحمّل الكدّ والمعاش بمشـقّة، لأن الرأس موضع التدبير.

فـ«إن أكل الطير منه»، فذلك زوالٌ في الرزق أو هلاكٌ للرائي، على قدر موضع الطير وعددها.

الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٤/ ٤٦٩).

وفي رؤيا السجين دلت هيئة الخبز المأكول على أنه رزقٌ لم يُصَب، وأن الطير –وهي آفاتٌ في الرؤيا– دلّت على الهلاك والصلب، لأن الطير لا تأكل من الرأس إلا بعد موت صاحبه.

ولهذا قال يوسف –عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ– في تعبيرها: ﴿وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾، فوافق الواقع كما أنبأه الله به.

ثالثًا: رمزية الرأس

«الرأس» أصل الإنسان، وبه يُعبّر عن الرياسة والعقل والتدبير، فما أصابه في المنام أصاب صاحبه في دينه أو دنياه.

و«من حُمِل عليه رزق أو خبز» فذلك تكليفٌ وهمٌّ وتدبيرٌ في المعاش، فـ«إن نُقر أو نهش من رأسه طيرٌ أو سبع»، أصابه أذى من سلطان أو موت.

ولهذا جاء في رؤيا السجين: أن الطير تأكل من رأسه، فكان ذلك دلالة الموت بعد رفعه على خشبة، لأن المصلوب يُعرّض رأسه للهواء والطيور.

رابعًا: رمزية الطير

«الطير» في الرؤيا تُعبَّر بالروح، والآجال، والأخبار، والملائكة، والأرزاق، بحسب سياقها. فـ«إن كانت آكلةً من شيءٍ» فذلك هلاك أو فساد، و«إن كانت محلِّقةً فهي بشارة».

وقد دلّت في رؤيا السجين على انقضاء الأجل، لأن الطير لا تأكل إلا من الجسد الهامد.

وفي هذا تنبيهٌ إلى دقة تعبير يوسف –عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ–، إذ فهم من الطير –مع

كونها مخلوقًا لطيفًا- دلالة الموت، لأن المقام كان مقام عقوبةٍ في السجن، فكان التأويل على ذلك السياق.

خامسًا: رمزية السجن والنجاة

«السجن» في المنام ضيقٌ وبلاء، وقد يُعبَّر بالدنيا نفسها، لأنها دار كدرٍ وامتحان، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»(١)

فخروج الرائي من السجن يدل على الفرج بعد الكرب، والنجاة بعد الخوف، كما وقع ليوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، إذ كانت رؤيا صاحبه الساقي سببًا في خلاصه ورفعه.

وأما المكث فيه، فهو تأديبٌ أو تمحيصٌ أو انتظار فرجٍ قريبٍ.

سادسًا: رمزية السقاية والملك

«**السقاية**» في المنام ولايةٌ أو خدمةٌ لأهل الجاه، لأن الساقي يقف على رؤوس القوم، ويُباشر الشراب بيده، وهي منزلةٌ عالية في مجالس الملوك.

ولهذا جعل يوسف الساقي في الرؤيا دليلًا على نجاته وعودته إلى مكانه عند الملك، بخلاف الآخر الذي فُسر بالهلاك.

وفي هذا دليل على أن الرؤيا قد تُفرّق بين شخصين اشتركا في الحال والمكان، لكن اختلفا في الباطن، كما اختلف السجينان في نصيبهما عند

---

(١) رواه الإمام مسلم في «صحيحه» (٢٩٥٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الله.

القياس في رموز رؤيا السجينين

تجلّى في تأويل يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- لرؤيا السجينين أرفعُ صورِ الفهم القياسي في علم التعبير، إذ لم يعتمد على ظاهر الصور المنامية وحدها، بل نظر في رموزها ومناسباتها ومقاصدها، فجمع بين العلم والفراسة والإلهام.

فقد رأى أحدهما أنه يعصر خمرًا، والآخر يحمل خبزًا تأكل الطير منه، فاستنبط يوسف من الأولى عودةَ صاحبها إلى عمله في خدمة الملك وسقيه، لأن العصر يدل على استخراج المنفعة من الشيء، والخمر شراب الملوك، والسقاية خدمةٌ شريفةٌ لهم.

وأما الثاني، فحمله الخبز على رأسه وأكل الطير منه، دلّ عنده على هلاكه، لأن الخبز رزقٌ مأكول، والرأس موضع التدبير، والطير إذا أكلت من الرأس فذلك موتٌ وذهابُ عقلٍ وتدبيرٍ معًا، فكان ذلك القياس دقيقًا موافقًا للواقع.

وهذا من فقه التأويل؛ إذ العابرُ الحاذقُ ينظر إلى المعنى المشترك بين الصورة والرؤيا: فما كان من جنس الخدمة والانتفاع دلّ على الولاية، وما كان من جنس الإتلاف والهلاك دلّ على ضدها.

وكذلك كانت طريقة يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، يربط بين الرمز وأصله، والمشهد ومغزاه، فينقل المعنى من الحسّ إلى الحكمة.

ولهذا كان علمه بوحيٍ وإلهام، لا بمجرد الظنّ والتخمين، كما قال

تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾، وقال في شأنه: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾.

فمن أراد أن يسلك سبيل يوسف في التعبير، فعليه أن يقيس الرمز على ما يناسبه من حقائق الشرع والعقل والعادة، لا على الهوى والظنّ، فينظر في كل رؤيا إلى طبيعة صورها، ومقام الرائي، وسياق الزمان والمكان، فإن التعبير فرعٌ على العلم والفهم، لا على الحدس والتخمين.

وهكذا يكون القياس في رموز الرؤى: جمعًا بين المعاني والأشباه والنظائر، على نهجٍ يورث البصيرة في هذا الفن الجليل.

المبحث الثالث: الفوائد المستنبطة من الآية

اشتملت هذه الآيات على فوائد بديعة كثيرة منها:

الأولى: أن الرؤيا قد تكون بابًا للدعوة إلى الله.

الثانية: أن علم التأويل من علوم النبوة.

الثالثة: أن الصالح معروف بإحسانه حتى بين السجناء.

الرابعة: أن الإحسان يُورث الثقة والقبول عند الناس.

الخامسة: أن الله يسخّر حتى السجن وسيلة لنشر الحق.

السادسة: أن المؤمن يستثمر كل موقفٍ للدعوة.

السابعة: أن حسن الخلق يسبق الدعوة بالقول.

الثامنة: أن الرؤيا قد تدل على خيرٍ أو شرٍّ بحسب رموزها.

التاسعة: أن التعبير لا يُبنى على الهوى بل على الفهم واليقين.

العاشرة: أن التأويل الصحيح من دلائل النبوة.

الحادية عشرة: أن الله يُظهر صدق عبده بإتمام ما أوّله على وجه الحق.

الثانية عشرة: أن الرؤيا ليست مجرد خيال بل قد تكون وحيًا أو بشارة.

الثالثة عشرة: أن في تأويل يوسف دليلًا على فراسته وصفاء قلبه.

الرابعة عشرة: أن من عرف الله أحسن تأويل الأمور بنور البصيرة.

الخامسة عشرة: أن الله يُمكّن لعباده من حيث لا يحتسبون.

السادسة عشرة: أن الرؤيا كانت طريق يوسف إلى الملك بعد السجن.

السابعة عشرة: أن الكلمة الطيبة حتى في السجن تُثمر القبول والاحترام.

الثامنة عشرة: أن الدعوة الصادقة لا يحجبها مكان ولا زمان.

التاسعة عشرة: أن المؤمن لا ييأس ولو في أحلك الظروف.

العشرون: أن الإحسان في الشدائد سبب لفرج الله وتمكينه.

المبحث الرابع: إعراب الآية

قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة يوسف:٣٦-٣٧].

«وَدَخَلَ» الواو عاطفة وماض

«مَعَهُ» ظرف مكان متعلق بدخل والهاء مضاف إليه

«السِّجْنَ» مفعول به مقدم

«فَتَيانِ» فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى والجملة معطوفة

«قالَ أَحَدُهُما» ماض وفاعله والجملة معطوفة والهاء مضاف إليه والجملة مستأنفة

«إِنِّي» إن واسمها

«أَرانِي» مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر والنون للوقاية والياء مفعول به أول

«أَعْصِرُ خَمْراً» مضارع ومفعوله وفاعله مستتر والجملة مفعول به ثان لأراني

«وَقالَ الْآخَرُ» ماض وفاعله والجملة معطوفة

«إِنِّي أَرانِي» إن واسمها وجملة أراني التي سبق إعرابها خبر والجملة مقول القول

«أَحْمِلُ» مضارع فاعله مستتر

«فَوْقَ» ظرف مكان متعلق بأحمل

«رَأْسِي» مضاف إليه والياء مضاف إليه

«خُبْزاً» مفعول به

«تَأْكُلُ الطَّيْرُ» مضارع وفاعله والجملة صفة لخبز.

«مِنْهُ» متعلقان بتأكل أو بحال محذوفة.

«نَبِّئْنا» أمر ومفعوله وفاعله مستتر والجملة مقول القول

«بِتَأْوِيلِهِ» متعلقان بنبئنا

«إِنَّا» إن واسمها

«نَراكَ» مضـــارع مرفوع بالضـــمة المقدرة على الألف للتعذر والكاف مفعوله وفاعله مستتر والجملة خبر إن والجملة الاسمية تعليل لا محل لها

«مِنَ الْمُحْسِنِينَ» متعلقان بنراك

«قالَ» ماض وفاعله مستتر والجملة مستأنفة

«لا يَأْتِيكُما طَعامٌ» لا نافية يأتيكما مضـارع مرفوع بالضـمة المقدرة على الياء للثقل والكاف مفعوله المقدم

«طَعامٌ» فاعل مؤخر والجملة مقول القول

«تُرْزَقانِهِ» مضـــارع مبني للمجهول مرفوع بثبوت النون والألف نائب فاعل والهاء مفعوله والجملة صفة لطعام

«إِلَّا» أداة حصر

«نَبَّأْتُكُما» فعل ماض والتاء فاعله والكاف مفعوله والميم والألف للتثنية والجملة حالية

«بِتَأْوِيلِهِ» متعلقان بنبأتكما

«قَبْلَ» ظرف زمان متعلق بنبأتكما

«أَنْ» ناصبة

«يَأْتِيكُما» مضـارع منصـوب بأن والكاف مفعوله وفاعله مستتر وأن وما بعدها في تأويل المصدر في محل جر بالإضافة

«ذلِكُما» ذا اســم إشــارة مبتدأ واللام للبعد والكاف للخطاب والميم والألف للتثنية

«مِمَّا» من حرف جر وما موصــولية متعلقان بالخبر المحذوف والجملة مستأنفة

«عَلَّمَنِي رَبِّي» ماض والنون للوقاية والياء مفعوله المقدم وربي فاعل والياء مضاف إليه والجملة صلة.

الفصل الخامس: رؤيا ملك مصر وقول الله تعالى

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

المبحث الأول: تفسير الآيات

من آيات الله الباهرة أن يجعل رؤيا ملكٍ كافرٍ سببًا في نجاة نبيٍّ مظلومٍ، وتمكينه في الأرض، لتجتمع بذلك حكمة القدر ولطائف التدبير الإلهي.

فرؤيا الملك في قصة يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ليست مجرد منامٍ عابرٍ، بل هي بداية الفرج وطلائع التمكين، إذ كانت سببًا لخروج يوسف من السجن وبلوغه أعظم المناصب في مصر، ليتحقق وعد الله لعبده الصالح: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٩٠].

فكانت الرؤيا سببًا لإخراج يوسف من السجن، ورفع شأنه، وإظهار صدقه وفضله على أهل زمانه.

رأى الملك في منامه سبع بقراتٍ سمانٍ تأكلهن سبعٌ عجاف، وسبع سنبلاتٍ خضرٍ وأخر يابسات، ففزع من هذه الرؤيا لما فيها من الغرابة والرمز، فاستدعى الملأ من قومه وسألهم عن تأويلها، فعجزوا عنها وقالوا:

﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف: ٤٤].

فلما سمع الساقي - الذي نجا من السجن - تذكر يوسف، فذهب إليه يطلب تفسيرها، فأوّلها يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- أوضح تأويل، فقال: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة يوسف:٤٧-٤٩].

فكانت الرؤيا رمزًا لسبع سنوات رخاء يتبعها سبع سنوات جدب، ثم عام رخاء يغاث فيه الناس، وقد صدّق الله تأويل يوسف، فوقع الأمر كما أوّله، فآمن الملك بفضله ورفعه على سائر علماء قومه.

والخلاصة:

لقد كانت رؤيا الملك مفتاحًا لفرج يوسف وتمكينه في الأرض، دلت على أن الله يُدبّر الأمور بلطفٍ لا يخطر على قلب بشر، فيجعل المنام حيلة الخلاص، والرؤيا طريق العزّ والتمكين.

وفيها بيان أن العلم الصحيح، وإن كان في صدر رجلٍ مظلومٍ في السجن، يعلو على جهل الملوك والعلماء إذا أُوتي صاحبه نور الله.

وهكذا تحققت الرؤيا بحذافيرها، وصدق التأويل، وظهر أن الرؤيا الصادقة وحيٌ من الله، وبشارةٌ للمؤمنين، وحكمةٌ تدلّ على أن التدبير بيده وحده.

فسبحان من جمع بين بلاء السجن وكرامة التمكين، وجعل الرؤيا بدايةً

لعهدٍ جديدٍ من الخير والفضل.

المبحث الثاني: رموز رؤيا الملك وتعبيرها على منهج القياس والتأويل الصحيح

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة يوسف:٤٣].

أولا: رمزية البقر

«البقر» في الرؤيا يُعبّر بالسنين، كما فسرها يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، لأن البقر مما يُحرَث عليه ويُستعمل في أعمال الأرض، وهي أصل المعاش والزراعة.

و«السِّمان» منها دليل على الخصب والرخاء والوفرة، والعجاف على الجَدب والقحط والفقر، ولهذا قال يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

وقياسًا على ذلك: «من رأى بقرًا سمينًا داخلاً بلده، أو داخلًا عليه»، دلّ على سنين خصب ورزق، و«إن رآها هزيلةً أو ميتةً»، دلّ على قلة الزرع والمطر، و«من رآها تأكل بعضها بعضًا»، فذلك تتابع في الجدب بعد الرخاء، أو فساد في الرعية بعد صلاح.

ثانيًا: رمزية الأكل

«الأكل» في المنام يدل على الاستهلاك والذهاب بالنعمة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ﴾ [سورة يوسف:٤٣].

فكانت هذه الصورة رمزًا دقيقًا لانتهاء الأعوام الخصبة بالسنوات المجدبة التي تلتهم ما قبلها من الخير.

وقياسًا على ذلك: «من رأى في منامه شيئًا يأكل مثله أو يفنيه»، دلّ ذلك على ذهاب البركة، أو نكبةٍ بعد رخاء، أو بلاءٍ يلتهم ما كان من خير، فيقاس المعنى بحسب المشهد وسياق الرؤيا.

ثالثًا: رمزية السنابل

«السنابل» في المنام دالة على الزرع والرزق والعطاء، وقد جعلها يوسف -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- مقياسًا للسنين لما فيها من النمو والادخار.

فـ«السنابل الخضر» ترمز إلى الخير والنماء والبركة، و«اليابسات» إلى الجدب والنقص والفناء.

وقياسًا على ذلك: «من رأى سنابل خضراء كثيرة»، نال وفرة في الرزق أو نجاحًا في عمله، و«من رآها يابسة أو محترقة»، دلّ على قحطٍ أو مرضٍ أو ضيق رزق، و«من رآها تُخزن في بيوت أو صوامع»، فهي إشارة إلى الادخار والتدبير الحسن.

رابعًا: رمزية الخُضرة واليبس

«الخُضــرة» في الرؤى حياةٌ ونعمة وبركة، واليبس موتٌ أو ضــياعٌ أو انقطاع.

وقد جمع الله بينهما في هذه الرؤيا ليبيّن تقلب الأحوال، وأن دوام النعم لا يكون إلا بشكرها.

وقياسًــا على ذلك: «من رأى أرضًــا خضــراء انقلبت يابســة»، دلّ على زوال نعمةٍ أو تبدل حال، و«من رآها بالعكس»، دلّ على فرجٍ بعد شــدة، أو هدايةٍ بعد ضلال.

فالمعنى يُقاس دائمًا على تحول الحال بين النمو والذبول.

خامسًا: رمزية العدد

«العدد» في هذه الرؤيا من أعجب الرموز وأدقها، فقد ورد لفظ سبع أربع مرات في آية واحدة، فكان التكرار مقصــودًا ليثبت أن الرؤيا تتعلق بالزمن، وأن المراد سبع سنين رخاء تعقبها سبع شداد.

وقياسًــا على ذلك: «العدد في الرؤيا إذا تكرر دلّ على تحديدٍ في الزمان أو في المرات أو في الأحداث»، ويُفسَّر بحسب نوع الرمز وعدد تكراره.

سادسًا: رمزية الملك

«الملك» في الرؤيا رمزٌ للســلطة والتدبير والحكم، وقد رأى هذه الرؤيا بنفسه لأنها تتعلق بأمر مملكته ومعاش شعبه.

فدلّ ذلك على أن الرؤيا قد تأتي للعظيم تنبيهًا على ما يخص أمته ورعيته، كما تأتي للفرد بما يخص شأنه.

وقياسًا على ذلك: «من رأى أنه ملك أو نال مخاطبة من ملك»، نال رفعةً أو مسؤولية، على قدر صدقه وعدله، فـ«إن كان صالحًا» فهي ولاية حق، و«إن كان فاسدًا» فهي فتنة أو اختبار.

سابعًا: رمزية التدبير والادخار

من أعجب ما في تأويل يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- أنه لم يقف عند بيان الرموز، بل تجاوزها إلى الحكمة العملية التي تليها، فقال: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾، فكانت رؤياه وحيًا في تدبير الأرزاق والأزمان.

وقياسًا على ذلك: «من رأى ما يدل على الجفاف أو الندرة»، فليأخذ بالأسباب، وليحسن التدبير قبل نزول البلاء، فالرؤيا تنبه المؤمن على مواضع الحذر، كما تبشره بالخير.

القياس في رموز رؤيا الملك

لقد قام تعبير يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- على منهجٍ علميٍّ دقيقٍ في القياس والتأويل، إذ قاس «البقر» بالسنين لاشتراكهما في العمل والزرع، وقاس «السمان» بالخصب، و«العجاف» بالجدب، و«السنابل» الخضر بالوفرة، و«اليابسات» بالقحط، و«الأكل» بالذهاب بالنعمة، فجمع بين الرموز في تناسبٍ محكمٍ لا يقدر عليه إلا من أُوتي علم التأويل.

فهذا من تمام فقهه وإلهامه، إذ نظر في جوهر الأشـياء لا في ظواهرها، وربط بين الصـورة المنامية والمعنى الواقعي، حتى صـار تعبيره علمًا قائمًا على القياس الصحيح، لا على الحدس ولا التخمين.

ومن أراد أن يسـير على نهج يوسـف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، فليجمع بين العلم والفراسة، والفهم والسياق، وليزن كل رمزٍ بميزان الحكمة الشرعية والسنن الكونية، فإن التعبير الصحيح فرعٌ عن الفقه، لا عن الوهم والخيال.

الثالث: الفوائد المستنبطة من الآيات

اشتملت هذه الرؤيا العظيمة على فوائد جليلة، منها:

الأولى: أن الله يُجري لطفه حتى على لسـان الملوك الكافرين تحقيقًا لأمره.

الثانية: أن الرؤيا قد تكون سببًا لتبدّل الأقدار ورفع البلاء.

الثالثة: أن المنام قد يُعبِّر عن وقائع الغيب برموزٍ دقيقةٍ لا يدركها إلا أهل الفراسة والإيمان.

الرابعة: أن الجاهل عن التعبير يجب أن يمسـك عن التأويل ولا يتكلف كما فعل من قالوا أضغاث أحلام.

الخامسة: أن الرؤيا الصادقة لا بد أن تقع كما أوّلها الصادقون.

السـادسـة: أن الله يُظهر عباده الصـالحين في وقت الحاجة ليُكرمهم بالتمكين.

السـابعة: أن علم تعبير الرؤيا من العلوم العظيمة الشـريفة وهو علم

يكتسب.

الثامنة: أن الحكمة في تدبير المستقبل من دلائل الفهم الصحيح للرؤيا.

التاسعة: أن يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أوّل الرؤيا بأسلوبٍ عمليٍّ لا نظري، فدلّ الملك على خطة النجاة.

العاشرة: أن من صدق مع الله صدّقه الله أمام الناس.

الحادية عشرة: أن تأويل يوسف للرؤيا لم يكن مجرد تفسير، بل وحيًا مؤيدًا من الله.

الثانية عشرة: أن الله قد يجعل الفرج لعبده من طريقٍ لا يخطر له ببال.

الثالثة عشرة: أن الصبر الطويل لا يضيع عند الله، فبعد سنين السجن جاء التمكين.

الرابعة عشرة: أن الرؤيا قد تكون فتحة خيرٍ على الأمة بأسرها كما كانت لمصر كلها.

الخامسة عشرة: أن من آداب العالم أن يعبّر الرؤيا بلطفٍ ووضوحٍ دون غموض.

السادسة عشرة: أنه ينبغي على المعبر أن يكون ناصحا لمن عبر له.

السابعة عشرة: أن الله يُعلِّم أنبياءه الحكمة في قولهم وعملهم حتى في غير شؤون الدين.

الثامنة عشرة: أن الرؤيا الحقّة لا تتبدّل ولا تختلف رموزها مهما طال الزمان.

التاسعة عشرة: أن في هذه القصة بيانًا أن الرؤيا الصادقة من دلائل صدق الرسالة.

العشرون: أن من آمن بالله وأحسن تأويل ما يرى، جعل الله له مخرجًا ونورًا.

مسألة: لا يقع تأويل الرؤيا عند أول عابر إذا لم يُصب في تأويلها

وهذه قاعدة جليلة من قواعد هذا العلم، قلّ من فهمها على وجهها، وكثر فيها الغلط والخلط بين الناس، حتى ظنّ كثير من العامة وبعض طلاب العلم أن الرؤيا تقع عند أول من عبّرها، ولو أخطأ في تأويلها.

والحقّ أن هذا الفهم باطلٌ، إذ لا تقع الرؤيا إلا إذا كان تعبيرها صحيحًا موافقًا لأصول التأويل وقواعد هذا الفن، أما إن أخطأ المعبّر في تأويلها، فليس لكلامه أثرٌ في وقوعها البتة، لأن الله لا يُجري المقدور على الباطل، ولا يربط الكائنات بالتخمينات.

فالتعبير علمٌ يحتاج إلى بصيرةٍ شرعيةٍ، وإدراكٍ لمدلولات الرموز، ومعرفةٍ بفقه اللغة والحديث، وتأملٍ في كلام السلف والمفسرين، لا أن يُتكلّف بلا علمٍ فيُفسد ولا يُصلح.

ولهذا قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب من لم ير الرؤيا لأول عابر»، أي إذا لم يُصب في تأويلها، مستدلًا بحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما عبّر رؤيا بين يدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وأَخْطَأْتَ بَعْضًا»

فدلّ ذلك على أن وقوع الرؤيا إنما يكون في الجزء الذي أصاب فيه، دون ما أخطأ، ولو كانت تقع لأول عابرٍ مطلقًا لما كان لبيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ معنى. وبهذا صرّح الإمام النووي في «شرح مسلم» (١٥/ ٢٩) فقال:

«وفي هذا الحديث جواز عَبْر الرؤيا، وأن عابرها قد يُصيب وقد يُخطئ، وأن الرؤيا ليست لأول عابرٍ على الإطلاق، وإنما ذلك إذا أصاب وجهها». اهـ

قلت: شاهد ذلك أيضًا رؤيا ملك مصر المتقدمة، إذ عرضها على الملأ أولًا، فقالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾ [يوسف: ٤٤].

فلم يقع تأويلهم، فلما عُرضت على يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وهو النبي الموحى إليه، أولها على وجه الصواب، فوقعت كما قال.

فثبت بهذا أن الرؤيا لا تقع لأول من فسرها إلا إذا أصاب في تأويلها، وأن الخطأ في التعبير لا يترتب عليه أثر في القدر، وإنما يجري القدر على الصواب والحق، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾، فكان ما عبّره يوسف هو الذي وقع كما أوحى الله إليه.

فليتقِ الله من يتصدر لتعبير الرؤى، ولا يتكلم إلا بعلمٍ وتمكّنٍ، فإنها أمانةٌ، ومن الخطأ أن تُجعل وسيلة للتكلف والحدس، أو مطمعًا لطلب الشهرة والدنيا، فالتعبير الصادق لا يكون إلا لمن رزقه الله نور الفهم

والتوفيق، والله المستعان.

مسألة ثانية: أن تعبير الرؤيا فتوى

يُستفاد من قوله تعالى في قصة الملك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ﴾ [يوسف: ٤٣]، أن تعبير الرؤيا في ميزان الشريعة فتوى، لأن الله سمّى التعبير «فتيا»، ولم يسمّه حكاية ولا تخمينًا.

وفي هذا بيانٌ لعِظم شأن المعبّر وخطورة موقعه، إذ هو يُفتي عن مراد الله في رؤيا عبده، فينبغي أن يكون عارفًا بالأصول، راسخًا في العلم، متورعًا عن القول بغير علم.

فالتعبير حكمٌ على معنى غيبيٍّ يُطلب فيه الصواب كما يُطلب في الأحكام الشرعية، ولهذا كان السلف يهابون القول في الرؤيا كما يهابون الفتوى، ومن تأمل هذا اللفظ القرآني علم أن المعبّر مفتٍ بلسانه، مُوقّعٌ عن علم الله فيما يُظهر لعباده، فلا يحلّ له التسرع ولا التكلف، فإن الرؤيا على جناح طائر ما لم تُعبّر، فإذا عُبّرت وقعت، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

فواجب المعبّر أن يستحضر مقام الفتوى، ويتورع عن التقول والظن، ويجعل علمه وسيلةً للهداية لا وسيلةً للرياء أو التكسب، فالعلم إنما يُبارك فيه إذا صَحّت النية واستقام القصد.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٠٣):

فَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعِلْمَ بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا أَصْعَبُ مِنْ الْعِلْمِ بِتَأْوِيلِ الْكَلَامِ الَّذِي

يُخْبَرُ بِهِ، فَإِنَّ دِلَالَةَ الرُّؤْيَا عَلَى تَأْوِيلِهَا دِلَالَةٌ خَفِيَّةٌ غَامِضَةٌ لَا يَهْتَدِي لَهَا جُمْهُورُ النَّاسِ؛ بِخِلَافِ دِلَالَةِ لَفْظِ الْكَلَامِ عَلَى مَعْنَاهُ، فَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ عَلَّمَ عِبَادَهُ تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَرَوْنَهَا فِي الْمَنَامِ فَلِأَنْ يُعَلِّمَهُمْ تَأْوِيلَ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ الَّذِي يُنَزِّلُهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى، قَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [سورة يوسف:٦].

وَقَالَ يُوسُفُ: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [سورة يوسف:١٠١].

وَقَالَ: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ [سورة يوسف:٣٧]. اهـ

وقال الإمام السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (ص٤١٠):

ومنها: أن علم التعبير من العلوم الشرعية، وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه، وأن تعبير المرائي داخل في الفتوى، لقوله للفتيين: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف]، وقال الملك: ﴿أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾ [يوسف:٤٣]، وقال الفتى ليوسف: ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ [يوسف:٤٦]، الآيات، فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم. اهـ

قلت: فإذا علمنا أن تعبير الرؤيا علم، وأنه صعب على من لم يحسنه، فلا يجوز الإقدام والخوض فيه إلا بفهم، وإلا فالإجابة فيه تعتبر فتوى، والدليل قول الله -في ذكر يوسف بعد تفسيره للسجينين-: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي

فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ [يوسف]، وقوله تعالى عن رؤيا الملك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف]، وقوله سبحانه عن أصحاب السجن: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف:٤٦] الآية.

فدلت هذه الآيات على أن تفسير الأحلام يعتبر فتوى.

والفتوى معناها إجابة السائل عما أشكل عليه في أمره وما حيره في مسألته، فهو يطلب من المفتي أو ممن جاء إليه أن يبين له الحكم، أو يزيل عنه ما جهله من الأمور والقضايا، سواء ما رآه في منامه أو جهله وحيره في يقظته، وهذا شامل في تفسير الأحلام وغيرها وبالله التوفيق.

قال ابن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٨٣٨):

ذَكَرَ ابْنُ وَهْبٍ، فِي كِتَابِ «الْمَجَالِسِ» قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكًا، يَقُولُ: يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَأْلَفَ فِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ قَوْلَ: لا أَدْرِي فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يُهَيَّأَ لَهُ خَيْرٌ.

قال ابن وهب: وَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: لا أَدْرِي.

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: لَوْ كَتَبْنَا عَنْ مَالِكٍ: لا أَدْرِي لَمَلأْنَا الأَلْوَاحَ.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: وَسَمِعْتُ مَالِكًا، وَذَكَرَ قَوْلَ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ: لأَنْ يَعِيشَ الْمَرْءُ جَاهِلا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَقُولَ عَلَى اللهِ مَا لا يَعْلَمُ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَقَدْ خَصَّهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا خَصَّهُ مِنَ الْفَضْلِ يَقُولُ: لا أَدْرِي.

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: وَحَدَّثَنِي مَالِكٌ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- «إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ وَسَيِّدُ الْعَالَمِينَ يُسْأَلُ عَنِ الشَّيْءِ فَلا

يُجِيبُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ». اهـ

الفصل السادس: رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الإسراء والمعراج وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾(١)

المبحث الأول: تفسير الآية

قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [الإسراء: ٦٠].

يخبر الله تعالى أنه لم يجعل الرؤيا التي أراها لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلا اختبارًا وتمييزًا للناس، ليظهر المصدق من المكذّب.

أقوال العلماء في معنى الرؤيا

القول الأول: رؤيا عينٍ باليقظة

وهو قول ابن عباس وجمهور المفسرين، قالوا: إن المقصود بالرؤيا ما

(١) هذه الآية ليست على شرط الكتاب ولكني ذكرتها لمزيد الفائدة من باب بيان أنه قد قيل هي رؤيا منامية.

رآه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعينه ليلة الإسراء والمعراج، فهي رؤية بصرٍ حقيقية، دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧]..

فالرؤيا كانت بالعين، لا بالمنام، وكانت فتنةً للناس حين أخبرهم بما رأى.

القول الثاني: رؤيا منامٍ

إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رآها في المنام، لا في اليقظة، وجعلها الله فتنةً للناس لاختبار تصديقهم بالرؤى النبوية. واستدل بأن «الرؤيا» تُستعمل غالبًا في المنام.

القول الثالث: رؤيا رمزية في شأن بني أمية

أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رأى في المنام بني أمية يتعاقبون على منبره واحدًا بعد آخر، فساءه ذلك، فأنزل الله الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾

أي امتحانًا لهم في الملك والسلطان، وقيل: فتنةً لكراهة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما رآه.

والراجح والصواب أن الرؤيا رؤيا عينٍ يقظةً لا منامًا.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن سرد الأقوال في «تفسيره جامع البيان ط دار التربية والتراث» (١٧/ ٤٨٣):

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس،

وبيت المقدس ليلة أُسري به، وقد ذكرنا بعض ذلك في أوّل هذه السورة.

وإنما قُلنا ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عنى الله عّز وجلّ بها، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلا فتنة للناس: يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدّوا عن الإسلام، لمَّا أُخبروا بالرؤيا التي رآها، عليه الصلاة والسلام وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تماديا في غيهم، وكفرا إلى كفرهم. اهـ

الخلاصة

تبيَّن من مجموع الأقوال أن الرؤيا في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ﴾ هي رؤيا عينٍ في الإسراء والمعراج، أراه الله فيها آياته الكبرى، فكانت فتنةً للمكذبين، وبصيرةً للمؤمنين.

وفيها دروس عظيمة في الثبات على الحق، وتصديق الغيب، والتسليم لأمر الله، إذ يبتلي الله عباده بما يعجز عنه العقل ليظهر صدق الإيمان من زيف الادعاء.

البحث الثاني: إعراب الآية

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الإسراء:٦٠].

«وَإِذْ» الواو استئنافية وإذ ظرف متعلق بفعل محذوف تقديره اذكر

«قُلْنا» ماض وفاعله والجملة مضاف إليه

«لَكَ» متعلقان بقلنا

«إِنَّ رَبَّكَ» إن واسمها والكاف مضاف إليه والجملة مقول القول

«أَحاطَ» ماض فاعله مستتر والجملة خبر

«بِالنَّاسِ» متعلقان بأحاط

«وَما» الواو استئنافية وما نافية

«جَعَلْنَا» ماض وفاعله والجملة مستأنفة

«الرُّؤْيَا» مفعول به أول منصوب بالفتحة المقدرة على الألف للتعذر

«الَّتِي» موصول في محل نصب صفة

«أَرَيْناكَ» ماض وفاعله ومفعوله والجملة صلة

«إِلَّا» أداة حصر

«فِتْنَةً» مفعول به ثان

«وَالشَّجَرَةَ» معطوف على الرؤيا

«الْمَلْعُونَةَ» صفة للشجرة وهي شجرة الزقوم

«فِي الْقُرْآنِ» متعلقان بالملعونة

«وَنُخَوِّفُهُمْ» الواو استئنافية ومضارع مرفوع فاعله مستتر والهاء مفعول به

«فَما» الفاء عاطفة وما نافية

«يَزِيدُهُمْ» مضارع ومفعوله الأول وفاعله مستتر والجملة معطوفة

«إِلَّا» أداة حصر

«طُغْيانًا» مفعول به ثان

«كَبِيراً» صفة.اهـ (١)

(١) انظر «إعراب القرآن للدعاس» (٢/ ١٩٦).

الفصل السابع: رؤيا إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- في ذبح ابنه وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠٢].

المبحث الأول: تفسير الآية

من أعجب الرؤى في تاريخ النبوّات، وأعظمها امتحانًا للإيمان، رؤيا الخليل إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- حين أُمر في المنام بذبح ابنه الوحيد -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، الذي جاءه على كِبَرٍ وبعد طول انتظار.

كانت رؤيا تقطع القلوب، لكنها في الوقت ذاته مِيزان الصدق في العبودية، إذ جعلها الله امتحانًا يُخلِّد معنى التسليم والخضوع لله في أصفى صوره، لتكون مثالاً خالدًا على أن الرؤيا الصادقة وحيٌ للأنبياء، وأن طاعة الله تُقدَّم على عاطفة النفس وحنان الأبوة.

رأى إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- في منامه أنه يذبح ابنه، ففهم أن هذا أمر من الله تعالى؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي لا أضغاث، فأخبر ابنه إسماعيل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- بالرؤيا ليستشيره ويستأذنه، فكان جواب الابن الطائع: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ﴾.

ثم مضيا معًا إلى موضع الذبح، وقد سلّما لأمر الله تسليمًا كاملاً، فلما تهيأ إبراهيم لتنفيذ الرؤيا ناداه الله: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة الصافات:١٠٥].

ففداه الله بذبحٍ عظيمٍ، وأبقى ذكرهما في الصالحين، فكانت هذه الحادثة مَثَلاً خالدًا في صدق العبودية والامتثال لأمر الله مهما اشتد البلاء.

وقد اختلف العلماء في تعيين الذبيح الذي أمر اللهُ تعالى إبراهيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بذبحه.

القول الأول: الذبيح هو إسحاق -عَلَيْهِ السَّلَامُ-

وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين، نُقل عن عمر، وابن مسعود، وابن عباس وغيرهم.

أدلته المختصرة:

آثار كثيرة مروية عن الصحابة والتابعين أن الذبيح هو إسحاق، وإن كان في بعضها ضعف إلا أن بعضها يقوي بعضًا.

ما ورد في الكتب السابقة - مما لا يخالف شرعنا - أن البشارة بالذبيح كانت لإسحاق.

أن الله ذكر البشارة بإسحاق في مواضع كثيرة، وفهم بعض السلف أن الابتلاء بالذبح كان متصلاً بهذه البشارة.

القول الثاني: الذبيح هو إسماعيل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-

وهو قول ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين وهو قول جمهور

المحققين المتأخرين، منهم ابن كثير، والطبري، وابن تيمية، وابن القيم وغيرهم.

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (١/ ٥٠٥- ٥٠٧- ٥٠٩):

وقد ذهب المحققون من العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم إلى أن الصواب في الذبيح أنه إسماعيل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-.

ولهذا قال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر بعض الآثار عن بعض الصحابة في أن الذبيح إسحاق: وهذه الأقوال - والله أعلم - كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتب قديمة، فربما استمع له عمر رضي الله عنه فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده منها وسميتها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده.

وقد جاءت أحاديث في أن إسحاق هو الذبيح ولكنها كلها ضعيفة.

مختصر ما استدلوا به ما يلي:

- قوله تعالى بعد قصة الذبح: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ مما يدل على أن البشارة بإسحاق جاءت بعد الذبح، فدل على أن الذبيح غيره.
- وصف إسماعيل بأنه «حليم» في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ ثم جاءت مباشرةً قصة الذبح، ففهم كثير من المفسرين أن الغلام الحليم هو إسماعيل.

- أن إسماعيل هو الابن الأكبر لإبراهيم، وهو الذي نشأ معه في مكة، وتعلّق قلب إبراهيم به، والابتلاء يكون بالأعزّ والأحبّ.

الخلاصة:

لقد كانت رؤيا إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في ذبح ابنه أعظم امتحانٍ عرفته البشرية في ميدان التسليم لله، إذ اجتمع فيها أعزّ محبوبين على القلب: الولدُ وأمرُ الربّ، فاختار الخليل أمر ربه بلا تردد، فخلّد الله ذكره وجعل قصته شعيرةً إلى يوم القيامة.

وفيها من الدروس أن الرؤيا الصادقة قد تكون تكليفًا، وأن البلاء باب الرفعة، وأن الإيمان لا يتم إلا بالتسليم الكامل لله تعالى.

المبحث الثاني: الفوائد المستنبطة

وقد اشتملت هذه الرؤيا العظيمة على فوائد بليغة، منها:

الأولى: أن رؤيا الأنبياء وحيٌ من الله تعالى لا تحتمل الخطأ.

وقد بينا ذلك في أول الكتاب.

الثانية: أن الامتثال لأمر الله مقدم على عاطفة النفس والولد.

الثالثة: أن إبراهيم ابتُلي بأشد ما تُبتلى به القلوب فصبر.

الرابعة: أن إسماعيل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بلغ الغاية في برّه بأبيه وطاعته لله.

الخامسة: أن الحوار الهادئ بين الأب والابن من سُنن الأنبياء.

السادسة: أن الرؤيا الصادقة قد تتكرر حتى يتبيّن المراد منها.

السابعة: أن الإيمان الحق يُظهر أثره في المواقف العظام لا في الأقوال.

الثامنة: أن الفداء من الله رحمة لمن صدق في طاعته.

التاسعة: أن التضحية في سبيل الله ترفع مكانة العبد في الدنيا والآخرة.

العاشرة: أن الأنبياء أعظم الناس تسليمًا لله وأبعدهم عن الهوى.

الحادية عشرة: أن الله يبتلي أولياءه ليُظهر للناس صدقهم لا ليعذبهم.

الثانية عشرة: أن الطاعة تُورث الكرامة، كما أورثت إبراهيم الذكر الحسن.

الثالثة عشرة: أن الرؤيا قد تكون أمرًا تكليفيًا للأنبياء دون غيرهم.

الرابعة عشرة: أن محبة الولد لا تُعذر عند مخالفة أمر الله.

الخامسة عشرة: أن الصبر الجميل لا يصح إلا مع التسليم واليقين.

السادسة عشرة: أن المودة الحقيقية بين الأب والابن أن يعين أحدهما الآخر على طاعة الله.

السابعة عشرة: أن الله يُثيب على العزم الصادق ولو لم يقع الفعل كما في قوله: قد صدقت الرؤيا.

الثامنة عشرة: أن الإسلام دين التضحية والابتلاء في سبيل مرضاة الله.

التاسعة عشرة: أن هذا الموقف أصل مشروعية الأضحية في الإسلام.

العشرون: أن الله يُبدل العسر يسراً لمن صدق في عبادته وطاعته.

المبحث الثالث: إعراب الآيات

قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ

إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ [سورة الصافات:١٠١-١٠٢].

«فَبَشَّرْنَاهُ» الفاء حرف عطف وماض وفاعله ومفعوله

«بِغُلَامٍ» متعلقان ببشرناه

«حَلِيمٍ» صفة والجملة معطوفة على قال لا محل لها

«فَلَمَّا» الفاء حرف استئناف ولما ظرفية شرطية غير جازمة

«بَلَغَ» ماض فاعله مستتر

«مَعَهُ» ظرف متعلق بحال محذوفة

«السَّعْيَ» مفعول به

«قَالَ» ماض فاعله مستتر

«يَا بُنَيَّ» يا حرف نداء وبني منادى مضاف وجملة قال لا محل لها لأنها جواب الشرط وجملة بلغ في محل جر بالإضافة

«إِنِّي» إن واسمها والجملة مقول القول

«أَرَى» مضارع فاعله مستتر والجملة خبر إني

«فِي الْمَنَامِ» متعلقان بأرى

«إِنِّي» أن واسمها

«أَذْبَحُكَ» مضارع ومفعوله والفاعل مستتر والجملة خبر أني وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي أرى

«فَانْظُرْ» الفاء الفصيحة وأمر فاعله مستتر والجملة جواب شرط مقدر لا محل لها

«ماذا» استفهامية في محل نصب مفعول ترى

«تَرى» مضارع مرفوع

«قالَ» ماض فاعله مستتر والجملة استئنافية

«يا أَبَتِ» يا حرف نداء ومنادى مضاف إلى ياء المتكلم التي عوضت بالتاء والجملة مقول القول

«افْعَلْ» أمر فاعله مستتر

«ما» موصولية مفعول به

«تُؤْمَرُ» مضارع مبني للمجهول ونائبه مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها

«سَتَجِدُنِي» السين حرف استقبال ومضارع مرفوع ومفعوله والفاعل مستتر

«إِنْ» حرف شرط جازم

«شاءَ» ماض

«اللهُ» لفظ الجلالة فاعل.

«مِنَ الصَّابِرِينَ» متعلقان بمحذوف حال.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ١٠٧﴾ [سورة الصافات:١٠٣-١٠٧].

«فَلَمَّا» الفاء حرف استئناف ولما ظرفية شرطية غير جازمة

«أَسْلَما» ماض وفاعله

«وَتَلَّهُ» الواو حرف عطف وماض فاعله مستتر والهاء مفعول به

«لِلْجَبِينِ» متعلقان بتله وجملة أسلما في محل جر بالإضافة

«وَنادَيْناهُ» الواو حرف عطف وماض وفاعله ومفعوله

«أَنْ» مفسرة

«يا إِبْراهِيمُ» يا حرف نداء إبراهيم منادى مبني على الضم

«قَدْ» حرف تحقيق

«صَدَّقْتَ» ماض وفاعله

«الرُّؤْيا» مفعول به

«إِنَّا» إن واسمها

«كَذلِكَ» نعت لمفعول مطلق محذوف مقدم على الفعل

«نَجْزِي» مضارع مرفوع فاعله مستتر

«الْمُحْسِنِينَ» مفعول به منصوب بالياء والجملة خبر وجملة إنا تعليلية.

«إِنَّ هذا» إن واسمها

«لَهُوَ» اللام المزحلقة ومبتدأ

«الْبَلاءُ» خبر

«الْمُبِينُ» صفة البلاء والجملة الاسمية خبر إن

«وَفَدَيْناهُ» الواو حرف عطف وماض وفاعله ومفعوله والجملة معطوفة على ناديناه

«بِذِبْحٍ» متعلقان بفديناه

«عَظِيمٍ» صفة.اهـ (١)

(١) انظر «إعراب القرآن للدعاس» (٣/ ١١٢).

الفصل السابع: رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في فتح مكة وقول الله تعالى ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ﴾ [الفتح: ٢٧].

من أعظم الرؤى التي بشّر الله بها نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قبل تحققها، رؤياه الصادقة في دخول مكة آمنين محلقين ومقصرين، فكانت رؤيا حقٍّ من الله لا تحتمل التأويل، وصدقها الله تعالى بعد عامين في الفتح المبين.

وهذه الرؤيا تمثّل أنموذجًا للثقة في وعد الله، والصبر على البلاء حتى يتحقق اليقين، إذ لم تكن حلمًا مجرّدًا، بل كانت بشارة نبوية وعدًا من السماء، فساق الله أسبابها واحدة بعد أخرى حتى تحققت على أكمل وجه.

وهذا قول ابن عاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعامة المفسرين أن هذه الآية نزلت بعد صلح الحديبية، حين رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في المنام أنه يدخل مكة هو وأصحابه محرمين معتمرين، فبشّر أصحابه بالرؤيا، ففرحوا بها أشد الفرح، وظنوا أن دخول مكة سيكون في ذلك العام، فلما صدّهم المشركون عن البيت ورجعوا دون عمرة، وقع في نفوس بعضهم شيء من التساؤل، فنزلت هذه الآية تصديقًا للرؤيا، وإخبارًا بأن دخولهم سيكون في عامٍ آخر،

وهو ما تحقق في العام التالي، سنة سبع للهجرة، حين اعتمروا عمرة القضاء، ثم في العام الثامن حين دخلوا مكة فاتحين آمنين كما رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فيخبر الله تعالى أنه صدق نبيه الرؤيا التي رآها، أي أن الرؤيا التي أراه الله إياها في المنام - بدخوله المسجد الحرام آمنًا مع أصحابه - تحققت كما رآها بلا زيادة ولا نقصان، لكن الله أجّل وقوعها لحكمةٍ بالغةٍ.

وفي قوله ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ تأكيد على أن الرؤيا كانت من الله، لا من أضغاث الأحلام، وأنها وحي صادق لا يحتمل الخلاف.

فقوله تعالى ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ وعد مؤكد، تحقّق مرتين: الأولى في عمرة القضاء، والثانية في الفتح الأعظم، حيث دخلوا مكة بلا قتال، فكانت الرؤيا بشارةً بالتمكين بعد الصبر.

والخلاصة:

إن رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في دخول مكة كانت وعدًا ربانيًا صادقًا، لم يتخلّف منه شيء، وإن تأخر عن توقع الصحابة، ليعلّم الله الأمة أن وعده حقٌّ لا يُستعجل، وأن الصبر على البلاء مفتاح الفتح والتمكين.

فكانت هذه الرؤيا برهانًا على صدق نبوّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وآيةً من آيات الله في تأييد عبده ورسوله، إذ تحققت حرفًا بحرف، فدخل المسلمون مكة آمنين كما رآها، ثم فتحوها بعد عامين فتحًا مبينًا.

وفي ذلك درسٌ عظيمٌ أن الرؤيا الصادقة من الله، وأنها قد تكون بشارةً

للنصـــر قبل وقوعه، ودليلًا على أن تأخر الخير لا يعني فقده، بل زيادة في ثوابه.

المبحث الثاني: الفوائد المستنبطة

اشتملت هذه الآية العظيمة على فوائد بديعة، منها:

الأولى: أن رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحيٌ صادقٌ لا يحتمل الخطأ.

الثانية: أن تأخر تحقق الرؤيا لا ينفي صدقها.

الثالثة: أن وعد الله لا يُخلف، ولو تأخر وقته.

الرابعة: أن المؤمنين قد يبتلون في انتظار تحقق البشارة.

الخامسة: أن الله قد يجعل الصبر طريقًا للتمكين.

السادسة: أن الرؤيا الصادقة بشارةٌ للمؤمنين قبل الفتح.

السابعة: أن من صدّق بالرؤيا قبل وقوعها نال أجر اليقين.

الثامنة: أن في قوله بالحق تأكيد أن رؤى الأنبياء وحي.

التاسعة: أن الله يهيئ الأسباب ليُظهر وعده في الوقت المناسب.

العاشرة: أن التثبيت في الفتن من أعظم ثمرات الإيمان.

الحادية عشرة: أن تأخر النصر لا يعني خذلان المؤمنين.

الثانية عشرة: أن الأمن بعد الخوف من سنن الله في نصرة أوليائه.

الثالثة عشرة: أن رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كانت بشارة بفتحٍ أعظم بعد العمرة.

الرابعة عشرة: أن الفتح الحقيقي يبدأ من صدق التوكل على الله.

الخامسة عشرة: أن تحقق الرؤيا من دلائل النبوة ومعجزاتها.

السادسة عشرة: أن الله يربّي عباده على الانتظار والصبر.

السابعة عشرة: أن النصر والتمكين لا يأتيان إلا بعد البلاء.

الثامنة عشرة: أن التعبير بالرؤيا من أساليب الوحي في التبشير.

التاسعة عشرة: أن الفتح قد يكون معنويًا قبل أن يكون ماديًا.

العشرون: أن الصدق مع الله في الرؤيا يورث الصدق في الواقع.

المبحث الثالث: إعراب الآيات

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الفتح:٢٧].

«إِذْ» ظرف زمان

«جَعَلَ» ماض

«الَّذِينَ» فاعله والجملة في محل جر بالإضافة

«كَفَرُوا» ماض وفاعله والجملة صلة

«فِي قُلُوبِهِمُ» متعلقان بجعل

«الْحَمِيَّةَ» مفعول به

«حَمِيَّةَ» بدل

«الْجاهِلِيَّةِ» مضاف إليه

«فَأَنْزَلَ» الفاء حرف عطف وماض

«اللهُ» لفظ الجلالة فاعله

«سَكِينَتَهُ» مفعول به والجملة معطوفة على ما قبلها

«عَلى رَسُولِهِ» متعلقان بالفعل

«وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ» معطوف على ما قبله

«وَأَلْزَمَهُمْ» ماض ومفعوله الأول والفاعل مستتر

«كَلِمَةَ» مفعوله الثاني

«التَّقْوى» مضاف إليه والجملة معطوفة على ما قبلها

«وَكانُوا» الواو حرف عطف وكان واسمها

«أَحَقَّ» خبرها

«بِها» متعلقان بأحق

«وَأَهْلَها» معطوف على أحق

«وَكانَ اللهُ» الواو حرف استئناف وكان واسمها

«بِكُلِّ» متعلقان بعليما

«شَيْءٍ» مضاف إليه

«عَلِيمـًا» خبر كان والجملة استئنافية لا محل لها

«لَقَدْ» اللام واقعة في جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق

«صَدَقَ» ماض

«اللهُ» لفظ الجلالة فاعله

«رَسُولَهُ» مفعول به

«الرُّؤْيا» منصوب بنزع الخافض

«بِالْحَقِّ» متعلقان بصدق والجملة جواب القسم لا محل لها

«لَتَدْخُلُنَّ» لام جواب القسم المحذوف ومضارع مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال والواو المحذوفة فاعله والنون للتوكيد والجملة جواب قسم محذوف لا محل لها

«الْمَسْجِدَ» مفعول به

«الْحَرامَ» صفة

«إِنْ» شرطية جازمة

«شاءَ» ماض

«اللهُ» لفظ الجلالة فاعله والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه

«آمِنِينَ» حال

«مُحَلِّقِينَ» حال ثانية

«رُؤُسَكُمْ» مفعول به

«وَمُقَصِّرِينَ» معطوف على محلقين

«لا» نافية

«تَخافُونَ» مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعله والجملة حالية

«فَعَلِمَ» الفاء حرف عطف وماض فاعله مستتر

«ما» مفعوله والجملة معطوفة على صدق «لَمْ تَعْلَمُوا» مضارع مجزوم

بلم والواو فاعله والجملة صلة

«فَجَعَلَ» ماض فاعله مستتر

«مِنْ دُونِ» متعلقان بالفعل

«ذلِكَ» مضاف إليه

«فَتْحًا» مفعول به

«قَرِيبًا» صفة.اهـ

الفصل الثامن: قواعد العامة في تأويل الرؤيا من خلال القرآن والسنة

إنّ علم تأويل الرؤى علمٌ جليل، دلّت عليه نصوص القرآن والسنة، وجرى عليه عمل الأنبياء والصالحين، وله قواعد وضوابط لا يصحّ تجاوزها، ومن أهمها:

القاعدة الأولى: أن الرؤيا حق وصادقة للمؤمن

دلّ على ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»؛ فهي من بشائر الإيمان، ومن دلائل الكرامة، لكنها لا تساوي الوحي ولا تقاربه إلا في البشارة.

القاعدة الثانية: أن الرؤيا لا تُخالف الشرع ولا تنسخه

فإن خالفت نصًا قطعيًا فهي أضغاث أحلام.

وقد تقرّر عند أهل العلم أن الرؤيا لا تُنشئ حكمًا، ولا ترفع واجبًا، ولا تحل حرامًا، وإنما فائدتها التنبيه والبشارة والإنذار.

القاعدة الثالثة: أن الرؤيا تُحمَل على ظاهرها ما لم تدلّ قرينة على تعبيرها

كما رأى إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في المنام أنه يذبح ابنه فجاء التعبير على

ظاهره، بخلاف رؤيا يوسف التي جاءت على القياس والرمز: البقر سنون، والسنابل سنون.

القاعدة الرابعة: اعتبار القياس الصحيح في التأويل

وقد دلّت عليه قصة يوسف:

فقاس «البقر» على السنين.

وقاس «السنابل» على الرزق.

وقاس «الأكل» على ذهاب النعمة.

فكان ذلك أصلًا في علم رموز الرؤى.

القاعدة الخامسة: أن الرؤيا قد تُعبّر بالمقلوب

لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾، ولكنه أراه إيّاهم قليلًا وهم في الواقع كثير.

فدلّ ذلك على قاعدة التعبير بالمضاد إذا كان في ذلك حكمةٌ ظاهرة أو مصلحةٌ للرائي.

القاعدة السادسة: أن حال الرائي مؤثّر في التعبير

فليست رؤيا العابد كالفاجر، ولا التقي كالمنغمس في الدنيا؛ ولهذا كانت رؤيا الأنبياء وحيًا وحقًا لا يتخلف.

القاعدة السابعة: أن الرؤيا يُعتبر سياقها وزمانها ومكانها

فالرؤيا في زمن الفتنة ليست كالرؤيا في زمن الأمن، ورؤيا المريض

ليست كرؤيا الصحيح، وكذلك البلدان والعوائد.

القاعدة الثامنة: الرجوع إلى اللغة العربية وأصولها

فالرؤيا تُفسَّر بالأسماء، والأعداد، والألوان، والأوصاف، والمجازات، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأحدهم: «رأيتُ ظِلَّ السيف على يديك، فتقتل» ففسّره بحديدة السيف.

القاعدة التاسعة: أن الرؤيا الصادقة جزء من الهداية

فهي دليل على حياة القلب وصفائه، وتكون أحيانًا سببًا في التثبيت أو التوبة أو الطاعة، كما كانت رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في بدر تثبيتًا للمؤمنين.

القاعدة العاشرة: أن التعبير فنٌّ قائم على العلم والفراسة

فهو مبني على: فقهٍ بالنصوص، وبصيرةٍ بالناس، وفراسةٍ وإلهام، ونظرٍ في القرائن والسياق.

ولهذا قال يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

خلاصة المبحث

إن تأويل الرؤى بابٌ شرعي أصيل، لا يقوم على الظنون والخيالات، وإنما على قواعد محكمة دلّ عليها القرآن والسنة، وجمعها أهل العلم، وهو علمٌ لا يُؤتاه إلا من صفا قلبه، وحسُن ورعه، واستنار بنور الكتاب والسنة.

الفصل التاسع: آداب الرائي والمعبِّر، وأخطاء الناس في هذا الباب

أولًا: آداب الرائي

الأولى: أن يُخلص في قصّ رؤياه، فيطلب بها الخير والهداية، لا التحديث والتفاخر ولا إثارة العوام.

الثانية: أن يختار لقصّ رؤياه من يُحسن التعبير، ويكون من أهل الصدق والدين والعلم، فإن الرؤيا على رجْل طائر ما لم تُعبَّر تعبير صحيحا.

الثالثة: أن يكتم رؤياه عمّن يُخشى حسده أو سوء ظنه، اقتداءً بوصية يعقوب ليوسف عليهما السلام.

الرابعة: أن لا يعرض رؤياه على أكثر من معبّر، لئلا يختلط عليه الأمر، فإن تعدد التأويلات يوقع في الاضطراب.

الخامسة: أن لا يتكلّف في معرفة كل رمزٍ وتفصيل، فإن المقصود هو المعنى العام.

السادسة: أن يقصّ الرؤيا كما رآها دون زيادة ولا نقصان، فإن الزيادة تُفسد التأويل، والنقصان يغيّر المعنى.

السابعة: أن يحسن الظن بالله إن رأى ما يكره، ولا يتشاءم ولا يتطير.

الثامنة: أن يَعلم أن الرؤيا لا تُغيّر قدرًا، ولا تُنشئ حكمًا شرعيًا، فلا

يبني عليها واجبًا ولا يترك بها فرضًا.

التاسعة: أن يستعيذ بالله من شرّ ما رأى إن كانت رؤيا مكروهة، ويُعرِض عنها ولا يحدّث بها أحدًا.

العاشرة: أن لا يربط مستقبل حياته أو زواجه أو تجارته برؤيا واحدة، فالرؤى تبشير وتنبيه، لا تشريع ولا إلزام.

الحادية عشرة: أن يكون وقته في قصّ الرؤيا مناسبًا؛ فلا تقصّ في حال الغضب أو الانشغال أو الاضطراب.

الثانية عشرة: أن يشكر الله على الرؤيا الصالحة، فهي من بشارات المؤمن.

ثانيًا: آداب المعبِّر

الأولى: أن يكون صادقًا تقيًّا، فإن نور التعبير يقع في القلب على قدر صفائه.

الثانية: أن يكون عالمًا في أصول هذا العلم، وبالأمثال واللغة والعادات ووجوه القياس في التعبير.

الثالثة: أن يرفق بالرائي، ولا يفسّر ما يوقعه في الخوف أو اليأس أو الظن السيّء.

الرابعة: أن يتورّع عن الجزم فيما لا يظهر له، ويقول: لعلّ – وأرجو – ويُخشى أن يكون.

الخامسة: أن يراعي حال الرائي، فالرؤيا تختلف باختلاف الأشخاص

والأحوال والأديان والنيات.

السادسة: أن لا يعجِّل بالتأويل قبل سماع الرؤيا كاملةً، مع فهم سياقها وحال وقتها.

السابعة: أن لا يستعمل التعبير للتكسب المذموم أو الشهرة أو الإعلام؛ فإن هذا بابٌ خطير.

الثامنة: أن لا يطيل في ضرب الأمثال والتخمين بلا دليل، فالتعبير علمٌ وهبة، لا كثرةُ كلام.

التاسعة: أن لا يُفتي بما يخالف الشرع أو يوقع في البدع، فالرؤيا من الله.

العاشرة: أن يُخفي ما قد يؤذي الرائي إن علمه، ويكني عنه بلطفٍ إن كان في التصريح مفسدة.

الحادية عشرة: أن يزن الرؤيا بميزان السنن الإلهية، فلا يحمّل الرمز ما لا يحتمل.

الثانية عشرة: أن يقف عند الجهل، ولا يخوض فيما لا يظهر له، فهذا من أمانة العلم.

ثالثًا: أخطاء الناس في هذا الباب

الأولى: تعلّق الناس الشديد بالرؤى حتى جعلوها محركًا لقراراتهم ومصائرهم.

الثانية: تكلّف تفسير كل حلم، حتى ما كان من أضغاث الأحلام وحديث النفس.

الثالثة: نشر الرؤى في المجالس ومواقع التواصل، وهذا من أعظم الأخطاء.

الرابعة: طلب التعبير من غير أهله، أو سؤال الجهّال والمتطفلين.

الخامسة: الخوف الزائد من رؤيا مكروهة، مع أنها ربما كانت من الشيطان أو خيال النفس.

السادسة: الاعتقاد الخاطئ بأن الرؤيا تثبت حكمًا شرعيًا.

السابعة: تفسير الرؤى تفسيرًا تشاؤميًا، ونقل الرعب لصاحبها.

الثامنة: مزج الرؤيا بالظنون والخواطر النفسية، وعدّها منامات.

التاسعة: استعمال الرؤى للطعن في الناس أو تزكية أشخاص أو تكفير آخرين، وهذا من أبطل الباطل.

العاشرة: تتبع الرؤى في الحروب والسياسة والفتن، واعتبارها أخبارًا غيبية، وهو ضلال بيّن.

الحادية عشرة: عدم التفريق بين أضغاث الأحلام والرؤيا الصادقة، وتفسير الجميع تفسيرًا واحدًا.

الثانية عشرة: اختراع رموز لا أصل لها شرعًا ولا لغةً ولا عرفًا.

رابعًا: آداب مضافة مهمة للرائي والمعبّر

أدب الرائي:

- أن يحمد الله على الرؤيا الصالحة.
- وأن يستعيذ بالله من شرّها إن كانت مكروهة.

- وألا يقصّها إلا على عالم ناصح.
- وألا يطلب لها تفسيرًا من كل أحد.
- وأن يراعي وقتًا مناسبًا لعرضها.
- وأن لا يربط حياته كلها بتعبيرها.
- وأن يصدُق في وصفها دون زيادة أو نقص.

أدب المعبّر:

- أن يكون صاحب علم وورع.
- وأن يبدأ بالنصح والتذكير بالله.
- وأن يسأل عن حال الرائي إن احتاج.
- وأن لا يجزم بالتأويل إلا بدليل.
- وأن يترك التأويل إذا لم يتبيّن له.
- وأن يبتعد عن التخويف بغير برهان.
- وأن ينسب الفضل لله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾.

الخلاصة

إنّ باب الرؤى بابٌ جليل، لا يحسنه إلا أهل الورع والعلم والفراسة، ومن حَسُن أدبه صَحَّ فهمه، ومن جهل الآداب وأخطأ في المراتب، أفسد على الناس حياتهم، وخاض في غيبٍ لا يحلّ له.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

فقد كان هذا الكتاب جهدًا متواضعًا في جمع الرؤى الواردة في القرآن الكريم، ودراستها من جهة تفسيرها، وتأويل رموزها، واستنباط قواعد التعبير منها، واستخراج ما اشتملت عليه من فوائد ومسائل، مع قدرٍ من الاختصار مراعاةً لحال القارئ، وتخفيفًا لعبء التفصيل الذي يحتاج إلى مجلدات مطوّلة.

وقد حرصتُ فيه على التحرير، وموافقة الدليل، واتباع منهج السلف، بعيدًا عن التكلّف، والدعاوى، والتأويلات البعيدة، إحياءً لعِلمٍ جليلٍ دلّ عليه الكتاب والسنة، وسار عليه يوسفُ الصدّيقُ -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- أتمَّ سير.

وأسأل الله تعالى أن يجعل ما كُتِب خالصًا لوجهه، نافعًا لخلقه، وأن يرزقني وإياكم العلم النافع وأن يختم لنا بخير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفهرس

مقدمة..... ٤

الباب الأول: حقيقة الرؤيا ومنزلتها وأنواعها ومنزلتها في الإسلام ٩

المبحث الأول: تعريف الرؤيا والحُلْم: ٩

تعريف الرؤيا والحُلْم لغة:..... ٩

تعريف الرؤيا اصطلاحا:..... ٩

المبحث الثاني: الفرق بين الرؤيا والحلم: ١٠

المبحث الثالث: الفرق بين الرؤيا والرؤية:..... ١٢

المبحث الرابع: أنواع الرؤيا في ضوء السنة النبوية ١٣

المبحث الخامس: مكانة الرؤيا الصادقة في الإسلام ١٥

المبحث السادس: أقسام الناس في باب الرؤى ١٧

القسم الأول:..... ١٧

القسم الثاني:..... ١٨

القسم الثالث: ١٨

المبحث السابع: رؤى الأنبياء وحي من الله وصدق وفيه مطلبان: .. ١٩

المطلب الأول: إن الوحي الذي ينزل على نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يكون على أنواع وصور..... ١٩

المطلب الأول:..... ٢١

الأمثلة..... ٢٢

مثال أول من الرؤى الظاهرة:..... ٢٢

أَحَدُهَا:..... ٢٢

الثَّانِي:..... ٢٢

الثَّالِثُ:..... ٢٢

مثال ثاني من الرؤى الظاهرة: ٢٤

مثال ثالث من الرؤى الظاهرة:..... ٢٦

المطلب الثاني: هل رؤى الأنبياء يخالطها أضغاث أحلام وحديث النفس وما كان من الشيطان؟ ٢٧

مسألة: لماذا رؤيا الأنبياء لا يداخلها أضغاث الأحلام ولا ما كان من الشيطان ولا حديث النفس؟..... ٢٨

المبحث الثامن: منزلة رؤى الناس غير الأنبياء ٢٨

القسم الأول: رؤى الصالحين ٢٨
القسم الثاني: رؤى المستورين ٢٩
القسم الثالث: رؤى الكفار ٣٠
المبحث التاسع: هل تعبير الأحلام من قبيل الإلهام وهل يمكن أن يكون بغير مستند؟ ٣١
أحدهما: ٣٢
فالخلاصة: ٣٤
فائدة في معنى الفراسة في تفسير الأحلام: ٣٤
الخلاصة: ٣٧
الباب الثاني: الرؤى الواردة في القرآن الكريم ٣٩
الفصل الأول رؤياه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم بدر وقول الله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ الآية ٤٠
المبحث الأول: تفسير الآية ٤٠
الخلاصة: ٤٤
أولا: رمزية القِلَّة في الرؤيا ٤٥
ثانيًا: رمزية الكثرة ٤٥
ثالثًا: قاعدة تعبير الرؤيا بالمقلوب ٤٦

المبحث الثالث: بعض الفوائد المستنبطة من الآية ٤٧
الأولى:..... ٤٧
الثانية:..... ٤٧
الثالثة:..... ٤٧
الرابعة:..... ٤٧
الخامسة:..... ٤٧
السادسة:..... ٤٧
السابعة:..... ٤٧
الثامنة: ٤٨
التاسعة:..... ٤٨
العاشرة:..... ٤٨
الحادية عشرة:..... ٤٨
الثانية عشرة:..... ٤٨
الثالثة عشرة: ٤٨
الرابعة عشرة:..... ٤٨
الخامسة عشرة:..... ٤٨

السادسة عشرة:..... ٤٨
السابعة عشرة:..... ٤٨
الثامنة عشرة:..... ٤٨
التاسعة عشرة:..... ٤٨
العشرون:..... ٤٨
المبحث الرابع: إعراب الآية..... ٤٨
الفصل الثاني البشرى في الحياة الدنيا: وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾..... ٥١
المبحث الأول: تفسير الآية..... ٥١
الحديث الأول:..... ٥٥
رجال الإسناد:..... ٥٥
الحديث الثاني..... ٥٦
الحديث الثالث:..... ٥٩
المبحث الثاني: الفوائد المستنبطة من الآية..... ٦٩
الأولى:..... ٦٩
الثانية..... ٦٩
الثالثة..... ٦٩

الرابعة..... ٦٩
الخامسة..... ٧٠
السادسة..... ٧٠
السابعة..... ٧٠
الثامنة..... ٧٠
التاسعة..... ٧٠
العاشرة..... ٧٠
الحادية عشرة..... ٧٠
الثانية عشرة..... ٧٠
الثالثة عشرة..... ٧٠
الرابعة عشرة..... ٧٠
الخامسة عشرة..... ٧٠
السادسة عشرة..... ٧٠
السابعة عشرة..... ٧٠
الثامنة عشرة..... ٧٠
التاسعة عشرة..... ٧٠

العشرون..... ٧٠

المبحث الثالث: إعراب الآية..... ٧١

الفصل الثالث رؤيا نبي الله يوسف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ ()..... ٧٣

المبحث الأول: تفسير الآية..... ٧٣

الخلاصة:..... ٧٥

المبحث الثاني: رموز رؤيا يوسف -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وتأويلها في ضوء أحداث القصة..... ٧٦

أولًا: رمزية الكواكب..... ٧٦

ثانيًا: رمزية الشمس..... ٧٧

ثالثًا: رمزية القمر..... ٧٧

رابعًا: رمزية السجود..... ٧٨

خامسًا: رمزية العدد..... ٧٨

سادسًا: رمزية النور..... ٧٨

سابعًا: رمزية النجوم وقياسها في الهداية..... ٧٩

والخلاصة:..... ٨٠

المبحث الثالث: الفوائد المستنبطة..... ٨١
الفائدة الأولى: ٨١
الفائدة الثانية:..... ٨١
الفائدة الثالثة:..... ٨١
الفائدة الرابعة:..... ٨١
الفائدة الخامسة:..... ٨١
الفائدة السادسة:..... ٨١
الفائدة السابعة:..... ٨١
الفائدة الثامنة:..... ٨١
الفائدة التاسعة:..... ٨١
الفائدة العاشرة: ٨٢
الفائدة الحادية عشرة: ٨٢
الفائدة الثانية عشرة: ٨٢
الفائدة الثالثة عشرة: ٨٢
الفائدة الرابعة عشرة: ٨٢
الفائدة الخامسة عشرة: ٨٢

الفائدة السادسة عشرة:..... ٨٢
الفائدة السابعة عشرة:..... ٨٢
الفائدة الثامنة عشرة:..... ٨٢
الفائدة التاسعة عشرة:..... ٨٢
الفائدة العشرون:..... ٨٢
الفائدة الحادية والعشرون:..... ٨٢
الفائدة الثانية والعشرون: ٨٢
الفائدة الثالثة والعشرون: ٨٢
الفائدة الرابعة والعشرون: ٨٢
الفائدة الخامسة والعشرون: ٨٢
الفائدة السادسة والعشرون:..... ٨٢
الفائدة السابعة والعشرون:..... ٨٣
الفائدة الثامنة والعشرون:..... ٨٣
الفائدة التاسعة والعشرون:..... ٨٣
الفائدة الثلاثون:..... ٨٣
الفائدة الحادية والثلاثون: ٨٣

الفائدة الثانية والثلاثون: ٨٣
الفائدة الثالثة والثلاثون: ٨٣
الفائدة الرابعة والثلاثون: ٨٣
الفائدة الخامسة والثلاثون: ٨٣
الفائدة السادسة والثلاثون: ٨٣
الفائدة السابعة والثلاثون: ٨٣
الفائدة الثامنة والثلاثون: ٨٣
الفائدة التاسعة والثلاثون: ٨٣
المبحث الرابع: إعراب الآية ٨٣
الفصل الرابع رؤيا السجينين وقول الله ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ ﴾ ٨٧
المبحث الأول تفسير الآيات ٨٧
الخلاصة ٨٨
المبحث الثاني: رموز رؤيا السجينين وتعبيرها على منهج القياس والتأويل الصحيح ٨٨
أولا: رمزية العصر والخمر ٨٩

ثانيًا: رمزية الخبز ٩٠
ثالثًا: رمزية الرأس ٩١
رابعًا: رمزية الطير ٩١
خامسًا: رمزية السجن والنجاة ٩٢
سادسًا: رمزية السقاية والملك ٩٢
القياس في رموز رؤيا السجينين ٩٣
المبحث الثالث: الفوائد المستنبطة من الآية ٩٤
الأولى ٩٤
الثانية ٩٤
الثالثة ٩٤
الرابعة ٩٤
الخامسة ٩٤
السادسة ٩٤
السابعة ٩٤
الثامنة ٩٤
التاسعة ٩٤

العاشرة..... ٩٥
الحادية عشرة..... ٩٥
الثانية عشرة..... ٩٥
الثالثة عشرة ٩٥
الرابعة عشرة..... ٩٥
الخامسة عشرة..... ٩٥
السادسة عشرة..... ٩٥
السابعة عشرة..... ٩٥
الثامنة عشرة..... ٩٥
التاسعة عشرة..... ٩٥
العشرون ٩٥
المبحث الرابع: إعراب الآية..... ٩٥
الفصل الخامس: رؤيا ملك مصر وقول الله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ٩٩
المبحث الأول: تفسير الآيات ٩٩
والخلاصة:..... ١٠٠

المبحث الثاني: رموز رؤيا الملك وتعبيرها على منهج القياس والتأويل الصحيح..... ١٠١
أولا: رمزية البقر..... ١٠١
ثانيًا: رمزية الأكل..... ١٠٢
ثالثًا: رمزية السنابل..... ١٠٢
رابعًا: رمزية الخُضرة واليبس..... ١٠٣
خامسًا: رمزية العدد..... ١٠٣
سادسًا: رمزية الملك..... ١٠٣
سابعًا: رمزية التدبير والادخار..... ١٠٤
القياس في رموز رؤيا الملك..... ١٠٤
الثالث: الفوائد المستنبطة من الآيات..... ١٠٥
الأولى..... ١٠٥
الثانية..... ١٠٥
الثالثة..... ١٠٥
الرابعة..... ١٠٥
الخامسة..... ١٠٥
السادسة..... ١٠٥

السابعة ١٠٥
الثامنة ١٠٦
التاسعة ١٠٦
العاشرة ١٠٦
الحادية عشرة ١٠٦
الثانية عشرة ١٠٦
الثالثة عشرة ١٠٦
الرابعة عشرة ١٠٦
الخامسة عشرة ١٠٦
السادسة عشرة ١٠٦
السابعة عشرة ١٠٦
الثامنة عشرة ١٠٦
التاسعة عشرة ١٠٧
العشرون ١٠٧
مسألة: لا يقع تأويل الرؤيا عند أول عابر إذا لم يُصب في تأويلها .. ١٠٧
مسألة ثانية: أن تعبير الرؤيا فتوى ١٠٩

الفصل السادس: رؤيا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ في الإسراء والمعراج وقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا ٢٧﴾() ١١٣

المبحث الأول: تفسير الآية ١١٣

أقوال العلماء في معنى الرؤيا ١١٣

القول الأول: ١١٣

الخلاصة ١١٥

البحث الثاني: إعراب الآية ١١٥

الفصل السابع: رؤيا إبراهيم -عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ- في ذبح ابنه وقوله تعالى ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [الصافات: ١٠٢]. ١١٨

المبحث الأول: تفسير الآية ١١٨

الخلاصة: ١٢١

المبحث الثاني: الفوائد المستنبطة ١٢١

الأولى ١٢١

الثانية ١٢١

الثالثة..... ١٢١
الرابعة..... ١٢١
الخامسة..... ١٢١
السادسة..... ١٢١
السابعة..... ١٢١
الثامنة..... ١٢٢
التاسعة..... ١٢٢
العاشرة..... ١٢٢
الحادية عشرة..... ١٢٢
الثانية عشرة..... ١٢٢
الثالثة عشرة..... ١٢٢
الرابعة عشرة..... ١٢٢
الخامسة عشرة..... ١٢٢
السادسة عشرة..... ١٢٢
السابعة عشرة..... ١٢٢
الثامنة عشرة..... ١٢٢

التاسعة عشرة..... ١٢٢

العشرون..... ١٢٢

المبحث الثالث: إعراب الآيات..... ١٢٢

الفصل السابع: رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في فتح مكة وقول الله تعالى ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ﴾ [الفتح: ٢٧]. ١٢٧

والخلاصة:..... ١٢٨

المبحث الثاني: الفوائد المستنبطة..... ١٢٩

الأولى..... ١٢٩

الثانية..... ١٢٩

الثالثة..... ١٢٩

الرابعة..... ١٢٩

الخامسة..... ١٢٩

السادسة..... ١٢٩

السابعة..... ١٢٩

الثامنة..... ١٢٩

التاسعة..... ١٢٩

العاشرة..... ١٢٩
الحادية عشرة..... ١٢٩
الثانية عشرة..... ١٢٩
الثالثة عشرة ١٢٩
الرابعة عشرة..... ١٢٩
الخامسة عشرة..... ١٣٠
السادسة عشرة..... ١٣٠
السابعة عشرة..... ١٣٠
الثامنة عشرة..... ١٣٠
التاسعة عشرة..... ١٣٠
العشرون ١٣٠
المبحث الثالث: إعراب الآيات..... ١٣٠
الفصل الثامن: قواعد العامة في تأويل الرؤيا من خلال القرآن والسنة ١٣٤
القاعدة الأولى: أن الرؤيا حق وصادقة للمؤمن ١٣٤
القاعدة الثانية: أن الرؤيا لا تُخالف الشرع ولا تنسخه ١٣٤
القاعدة الثالثة: أن الرؤيا تُحمَل على ظاهرها ما لم تدلّ قرينة على تعبيرها
..... ١٣٤

القاعدة الرابعة: اعتبار القياس الصحيح في التأويل..... ١٣٥
القاعدة الخامسة: أن الرؤيا قد تُعبّر بالمقلوب..... ١٣٥
القاعدة السادسة: أن حال الرائي مؤثّر في التعبير ١٣٥
القاعدة السابعة: أن الرؤيا يُعتبر سياقها وزمانها ومكانها..... ١٣٥
القاعدة الثامنة: الرجوع إلى اللغة العربية وأصولها ١٣٦
القاعدة التاسعة: أن الرؤيا الصادقة جزء من الهداية..... ١٣٦
القاعدة العاشرة: أن التعبير فنٌّ قائم على العلم والفراسة..... ١٣٦
خلاصة المبحث..... ١٣٦
الفصل التاسع: آداب الرائي والمعبِّر، وأخطاء الناس في هذا الباب.. ١٣٧
أولًا: آداب الرائي..... ١٣٧
الأولى..... ١٣٧
الثانية..... ١٣٧
الثالثة..... ١٣٧
الرابعة..... ١٣٧
الخامسة..... ١٣٧
السادسة..... ١٣٧

السابعة ١٣٧
الثامنة ١٣٧
التاسعة ١٣٨
العاشرة ١٣٨
الحادية عشرة ١٣٨
الثانية عشرة ١٣٨
ثانيًا: آداب المعبِّر ١٣٨
الأولى ١٣٨
الثانية ١٣٨
الثالثة ١٣٨
الرابعة ١٣٨
الخامسة ١٣٨
السادسة ١٣٩
السابعة ١٣٩
الثامنة ١٣٩
التاسعة ١٣٩

العاشرة..... ١٣٩
الحادية عشرة..... ١٣٩
الثانية عشرة..... ١٣٩
ثالثًا: أخطاء الناس في هذا الباب..... ١٣٩
الأولى..... ١٣٩
الثانية..... ١٣٩
الثالثة..... ١٤٠
الرابعة..... ١٤٠
الخامسة..... ١٤٠
السادسة..... ١٤٠
السابعة..... ١٤٠
الثامنة..... ١٤٠
التاسعة..... ١٤٠
العاشرة..... ١٤٠
الحادية عشرة..... ١٤٠
الثانية عشرة..... ١٤٠

رابعًا: آداب مضافة مهمة للرائي والمعبّر ١٤٠
أدب الرائي:..... ١٤٠
أدب المعبّر:..... ١٤١
الخلاصة..... ١٤١
الخاتمة..... ١٤٢
الفهرس ١٤٣
تلخيص الفوائد..... ١٦٥

تلخيص الفوائد

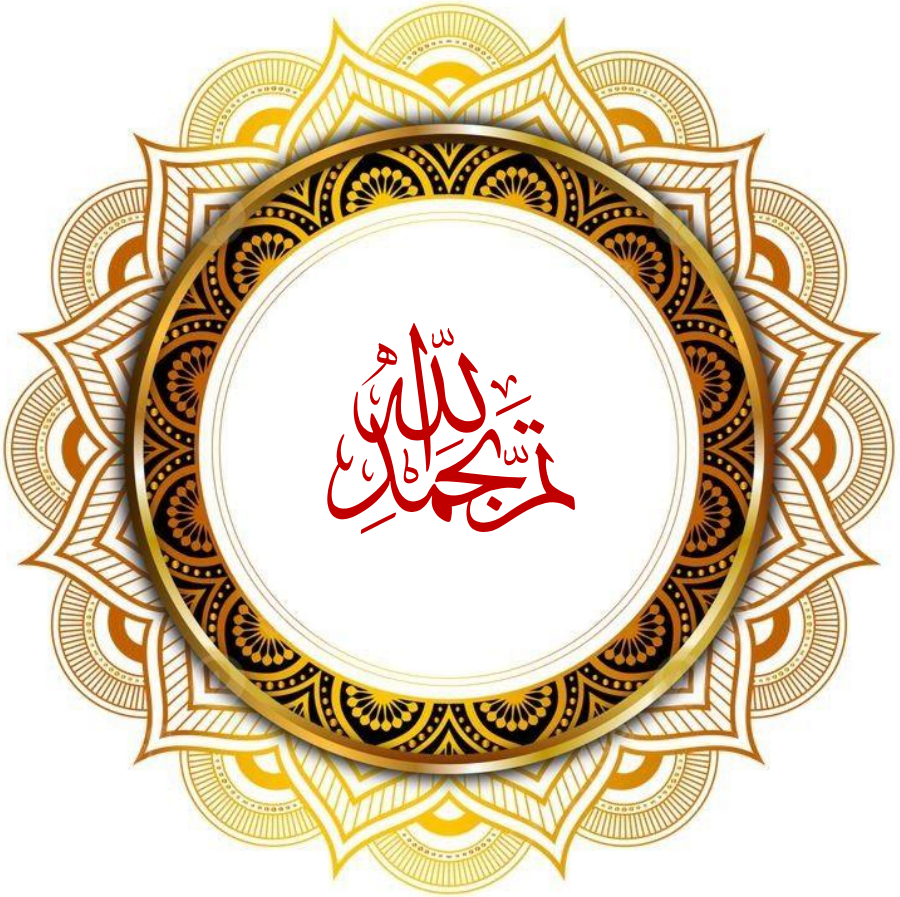
لله الحمد

صدر حديثًا للمؤلف

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢
حضرموت الحامي - جوار مسجد أنور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
حضرموت سيئون شحوح - مقابل مسجد ابراهيم . ومدرسة شحوح للبنين
+٩٦٧ ٧٨٣٢٤٦٥١٣
alshafibooks@gmail.com